بسم الله الرحمن الرحيم

بطاقة فنية لكتاب دلالة الألفاظ

دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس

يقع الكتاب في 267 صفحة من القطع المتوسط في طبعته الخامسة الصادرة عام 1984 عن مكتبة الأنجلو المصرية ويتكون من مقدّمة و اثني عشر فصلا.

معلومات الكتاب:

عنوان الكتاب: دلالة الألفـاظ

المؤلف: الدكتور إبراهيم أنيس

الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية

الصـادرة عام1984

الطبعة الخامسة

حجم الكتاب من القطع المتوسط

عـدد صفحاتـه 267

شكـر وتقديـر

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة تعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدّموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد.

وقبل أن نمضي نتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة

إلى الذين مهدوا طريق العلم والمعرفة

إلى كل أساتذتنا الأفاضل

ونخص بالتقدير والشكر الأستاذ الدكتور فواتيح إبراهيم

ونشكر كذلك كل من ساعدنا على إتمام هذه الرسالة وقدم لنا يد العون

كما أتوجه بالشكر لزملائي الطلبة وخاصة قسم اللغة العربية وآدابها.

إهـــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلهي لايطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلى بطاعتك .. ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك .. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك... الله جل جلاله

إلى من بلّغ الرسالة وأدى الأمانة . إلى نبي الرحمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار ... إلى من أحمل أسمه بكل افتخار .. أرجو أن يتغمّده الله برحمته الواسعة ويسكنه فسيح الجنان. .. والدي العزيز

إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني .. إلى بسمة الحياة وسر الوجود

إلى من كان دعائها سر نجاحي ...أمي الحبيبة

إلى زوجتي الغالية وأبنائي ياسين، هناء، عبد النور، أسامة، و الكتكوتة الصغيرة ملك

إلى كل إخوتي وأخواتي وأبنائهم وبناتهم حفظهم الله ورعاهم

إلى اللاتي تحلين بالإيخاء وتميزن بالوفاء والعطاء ورجين حورية، ولد م أمينة

إلى كل الطلبة الذين عرفتهم وأحببتهم ونخص بالذكر محمد باتن، وطبيب محمد، لحوص الطيب

وإلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا

إلى الأساتذة الكرام قسم اللغات والآداب ونخص بالذكر الأستاذ غربي بكاي، والأستاذ يونسي كما نتوجه بالشكر الجزيل

للدكتور فواتيح إبراهيم الذي تفضّل بإشرافه على هذا العمل فجزاها الله عنّا كل خير

إلى كل من نسيت ذكره الله لا ينسى أهـدي هـذا الجهـد المتواضـع

محمد محمولي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والحمد من نعمائه، أحمده سبحانه استتماما لنعمته، وخضوعا لجبروته وعزته واستعصاما من جحده ومعصيته، وأشكره – جلّت كلمته – استدراكا لوابل فضله واستمناحا لجوده وكرمه، و أستعينه استشعارا بالفاقة إلى كفايته، إنّه لا يفتقر من كفاه ولا يئل من عاداه ولا يضلّ من هداه، وصلاته وسلامه على خاتم أنبيائه، وعلى آله وأصحابه وعلى من أقام من أمته على سنن الحق إلى يوم الدين.

أما بعد...إنّ الإنسان إذا أراد أن يقوم بعمل ما، تتبلور في ذهنه فكرة، تكون في بدايتها هائمة في آفاق النفس، لا يعرف لها كنها يحملُ تقاسِيمها وتفاصِيلها، وقد تبادرَ إلى أذهاننا مسائلة أنفُسنا وزملائنا عن مراحل التعليم و التعلّم المتنوع و المتدرّج، عن سرّ التعبير، بكلمة دون أخرى وأيّهما أجمل، وأيّ تعبير أدق وأفضل؛ فجدير بنا أن ننمي في أنفسنا وإياهم ألوانا من المهارات اللّغوية، لمعرفة بعض الفروق منها، وتحديد الأفكار وتمييز بعضها من بعض، ولا شكّ أنّ الألفاظ هي الوسيلة الوحيدة لتحديدها، فإن تنوّعت المدلولات فإنّه من اللازم تنوُّع الدوالّ تبعا لها.

ولا شكّ أنّ الأفكار متفاوتةٌ معنى ومدلولا، عاما وخاصا، جنسا ونوعا، ولولا الألفاظ ما أمكن تقسيم الكلمة وتصنيفها، ولا تحليلها وتركيبها، وقد اهتم العلماء قديما وحديثا بدلالة الألفاظ، وكان هدفهم الأسمى المحافظة على لغة التنزيل، لذلك فالكلمات الصادرة عن حب من حقها أن تحيا؛ فلقد عُنِي علماء الشريعة باللفظ العربي من حيث معانيه ودلالاته عناية بالغة؛ لكونه العمدة في عملهم، ومناط الحُكم الشرعي ودليله، وكان الأصوليُّون ممّن أفاض القول في قضايا اللفظ والدلالة؛ فالألفاظ لم تُقصَد لذواتها، وإنّما هي أدلّة يستدلُّ بها على مراد الشارع، فإرادة المعنى آكدُ من إرادة اللفظ، فالكلام يُعتَنى به ليدلَّ على المعنى وليُفهَم عنه القصد؛ لذلك فقد ظهَر – من قديم – عنايتهم

باللّفظ وبدلالته على الحُكم الشرعي، ولم تقلَّ عنايتهم بالمعنى التركيبي عن عنايتهم باللفظ منفردًا، فبحثوا أثَر اللفظ السابق، واللفظِ اللاحق، وما يصاحب اللفظَ من قرائن وأثرَ ذلك كله على الدلالة فيما يُعرَف بالسياق. ولازال علماء اللّغة يتدارسون هذا العلم الذي يعدّ بذرة طيبة نمت وتفرعت في العالم العربي.

لذلك تبادر إلى أذهاننا طرح الإشكال التالي:

ما مدى استفادة الثقافات من الدلالة كونها أداة لإضاءة الأصول العربية؟

وما حظ هذه الدلالة من الدراسة الحداثية؟

و إلى ما يعزى تأخر الدراسات الدلالية العربية؟

لهذا فقد قيظ الله للغة الضاد من يعطيها نفسا جديدا، ويحمل لواءها بين الشعوب فهذا الدكتور "إبراهيم أنيس يحمل على عاتقه هذا الشّرف في كتابه الموسوم –بدلالة الألفاظ– الذي كان ميلاده سنة 1958م، بمصر الصادر عن مكتبة الأنجلو المصرية متخذا من العلم الحديث (السيمونتبك) كوسيلة محاكاة للنّهوض بعلم الدلالة التراثي، جاعلا منه وسيلة تنظير لازالت الوحيدة في البلدان العربية، وما كان هذا إلاّ للأهمية الّـتي توسّمها فيه؛ لأنّه صلب اللّغة وقوامها "الدلالة، اللفظ"، حتى يبرهن على أنّ اللّغة العربية كبقية اللّغات وباستطاعتها التوشّح بوشاح العلم الحديث، ومن خلال هذا وغيره كانت جملة من الأسباب دافعة بنا إلى دراسة هذا الكتاب مغتنمين الفرصة لإشباع فضولنا العلمي، و حتى تكون بإذن الله مذكرة نتوج بها مسارنا الدراسي، هادفين إلى محاولة فتح نافذة البحث العلمي من خلال هذا الكتاب لأنّه يحمل موضوعا كثرت الأبحاث فيه نذكر منها على سبيل الذِّكر: علم الدلالة لأحمد مختار عمر، وجيسبرسن وأوغدن وريتشارد متخذين من المنهج الوصفي التحليلي أداة تساعدنا على خوض غمار بحثنا لما فيه من آليات الاستقصاء والتحرير وهذا وفق خطة بنيت على مقدمة ومدخل احتوى على ترجمة الكاتب متبوع بفصلين عنون أولهما بنشأة اللّغة ومكونات الدلالة، الذي انطوى على مجموعة من المباحث درسنا من خلالها نشأة اللّغة كما بيَّنها "إبراهيم

أنيس" من خلال مؤَلفه منذ عهد الهنود إلى اليونان وصولا إلى عصر النهضة إلى أن أعلن بريال عن ميلاد علم جديد يعتني بدراسة المعنى ، ثم تطرقنا بعده إلى تعريفات اللّغويين للدلالة ذاكرين أنواع الدلالة وأداتها وصولا إلى المركز والهامش في الدلالة، وفصل ثاني وسم بـ: تطور الدلالة ودورها في الترجمة ودلالتها في المعجم ، انطوى هذا الأخير على مباحث تحمل في ثناياها التّطور الدلالي و عوامله وكذا نصيب الألفاظ العربية منها وكنوزها الدلالية دون أن نغفل في هذا المجال عن دور الدلالة في الترجمة وقد ذيلنا بحثنا بخاتمة كانت حوصلة لما توصلنا إليه من نتائج هذه الدراسة، مستقين هذه الدراسة من بطون أمهات الكتب كفقه اللّغة لمحمد بن إبراهيم الحمد ، والخصائص لابن جني ، وعلم الدلالة لأحمد مختار عمر، وغيرهم ، و من مجمل الصعوبات التي واجهتنا غياب المنهج الواضح في تأليف هذا الكتاب مما صعّب أمكانية التوجه المحدود لمصدر بعينه وهذا لموسوعية المادة العلمية في الكتاب .

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف –إبراهيم فواتيح –الذي لم يبخل علينا بنصائحه فكان لنا خير دليل، وإلى كافّة من ساعدنا ومدّ لنا يد العون ولو بكلمة نصح أو إرشاد .

نتمنى أن نكون قد وفّقنا في هذا العمل المتواضع الذي نتمناه أن يكون مفيد ولو بالقدر القليل، سائلين المولى عزّ وجل لنا ولزملائنا ولأساتذتنا التوفيق في الحياة العلمية والعملية هذا، والله وليّ التوفيق.

تيسمسيلت في 2017/05/12م

1-محمودي محمد

2-طبيب محمد

مـــدخـــــل

- قراءة موجزة عن حياة الكاتب
- المولد والنشأة
- البعثة إلى إنجلترا
- عضويته بالمجمع
- مؤلفاته

قراءة موجزة عن حياة الكاتب

المولد والنشأة:

ولد الدكتور إبراهيم أنيس عام "(1906م بالقاهرة، نشأ في أسرة كريمة، يقوم عائلها على تربية أولاده تربية كريمة، وتعليمهم تعليمًا راقيًا، ولما اشتدّ عوده بدأ رحلته للتّلقي والدرس فالتحق بإحدى المدارس الابتدائية، وبعد ذلك انتقل إلى المدرسة التجهيزية التي كانت ملحقة بدار العلوم وعندما حصل منها على شهادة الدراسة الثانوية انتقل إلى دار العلوم العليا وتخرّج فيها سنة (1930م)."[1]

وكان له إبان هذه الفترة نشاط أدبي؛ حيث كان ينظم القصائد الشعرية ويكتب المسرحيات التاريخية والاجتماعية، وكان يهوى التمثيل أيضا، ويذكر الدكتور "مهدي علام" أنّ إبراهيم أنيس كان رئيسًا لجمعية التمثيل بدار العلوم، وأنه كتب تمثيلية بقلمه بعنوان "الشيخ المتصابي"، قام بدور البطولة فيها"[2].

البعثة إلى إنجلترا:

"عمل "إبراهيم أنيس" بعد تخرجه مدرسًا في المدارس الثانوية، ولما أعلنت وزارة المعارف مسابقتها لاختيار بعثة دراسية إلى أوربا تقدم لها، وفاز بها وسافر إلى إنجلترا للحصول على الدكتوراه، وفي جامعة لندن حصل على درجة البكالوريوس في الآداب سنة (1939م)، ثم دكتوراه الفلسفة في الدراسات اللغوية السامية سنة (1941م)، ولم تصرفه دراسته الجادة عن العمل الاجتماعي، فقد كان له دور بارز فيه، فانتخب رئيسًا للنادي المصري بلندن، يدير أعماله ويدير شؤونه"، "وبعد عودته من البعثة، عُيّن مدرّسًا بكلّية دار العلوم، ثم انتقل إلى كلّية الآداب بجامعة الإسكندرية، وظل بها عامين أنشأ خلالهما معمل الصوتيات لتحديث الدراسات اللغوية ودراسة الأصوات ومقاييس

1 – محمد خير رمضان: تتمة الأعلام للزركلي– دار ابن حزم– بيروت، ط2، سنة 2002، ص11.

2 – محمد مهدي علام: المجمعيون في خمسين عامًا– الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية– القاهرة، 1986م.

تصنيفها، ثم عاد إلى دار العلوم، وترقّى في وظائفها إلى أن أصبح أستاذًا ورئيسًا لقسم اللغويات، ثم تولَّى العمادة سنة (1955م) للمرة الأولى، ثم عين عميدًا لها مرة أخرى في سنة (1958م"[1].

عضوية المجمع:

لفت إبراهيم أنيس الأنظار إليه بدارساته وبحوثه الجديدة في علم اللغة، "فاختير خبيرًا بمجمع اللغة العربية سنة (1958م)، ثم نال عضوية المجمع سنة (1961م) مع تسعة آخرين انضموا إلى المجمع حين عدّل في قانونه وزيد عدد أعضائه.

وقد ساهم مساهمة فعالة في أعمال لجنة الأصول، ولجنة اللهجات، ولجنة المعجم الكبير وغيرها، وكتب بحوثًا راقية ودراسات بالغة الأهمية في مجلة المجمع، ثم عُهد إليه بالإشراف على المجلة منذ العدد الثاني والعشرين، الصادر في سنة (1967م)، خلفًا للأستاذ "زكي المهندس" عضو المجمع البارز إلى أن انتقل إلى رحاب ربه إثر حادث أليم سنة 1978م"[2].

نتاجه العلمي:

درس إبراهيم أنيس علوم اللغة العربية على شيوخ دار العلوم وأعلامها، وكانوا من ذوي العلم والإتقان، فتمرس بالعربية وتزود من معينها الصافي- تساعده سليقة فطرية وشغف بلغة العرب- ثم درس في لندن؛ حيث رأى مناهج جديدة، وقرأ بحوثًا لعلماء في لغاتهم القديمة والحديثة واطّلع على محاولاتهم في تفسير الظواهر اللغوية على هُدىً من نظائرها في اللغات المختلفة، فأضاف ذلك علمًا إلى علمه، وأنضجت هذه الدراسات تفكيره وأثْرَت منهجه، دون أن تطغى هذه المناهج الجديدة على عقله أو تجعله ينقل حاكيًا مرددا دون فهم وبصيرة، وإنما كان يأخذ ويختار عن بيّنة واقتناع، ودارت بحوثه حول الأصوات اللغوية، واللهجات العربية، ودلالات الألفاظ، وموسيقى الشعر، إلى جانب طائفة من قضايا النحو والصرف رآها مجالا للنظر والتأمل، وفي كل ما يكتب كان يلجأ في مواقف

1 – محمد خير رمضان: تتمة الأعلام للزركلي، ص: 12.

2 – المرجع نفسه، ص: 12.

الاحتجاج وإصدار الأحكام إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم والكلام المأثور من منظوم ومنثور وكلام العلماء.

وكان يؤمن أن الحواجز التقليدية بين فروع المعرفة المختلفة ليست إلا حواجز وهمية في كثير من الأحيان، وأن العالم الحق لا يستطيع أن يغفل عن الاستفادة من إمكانات الفروع المختلفة؛ ولذلك كان يهتم بالرياضيات والإحصاء، ويحرص على الاستفادة منذ وقت مبكر من إمكانات الحاسب الآلي (الكمبيوتر) في بحوثه اللغوية، ويكلف طلابه بعمل إحصاءات من القرآن الكريم ومن معجمات اللغة[1].

وتناول الدكتور إبراهيم أنيس "اللهجات العربية"، فبحث حال العربية قبل الإسلام، وواقع اللهجات فيها، ودرس ما بينها وبين القراءات القرآنية من صلات، وعرض أهم قضاياها في بنيتها ودلالتها وما بينها من اتفاق واختلاف، ثم انتهى إلى أن العناصر المشتركة في اللهجات العربية الحديثة تنتمي إلى لهجات عربية قديمة.

واشتغل بدراسة الأصوات اللغوية، ومقاييس تصنيفها ومنهج القدماء فيها، وكذلك موسيقى الكلام، وتكَوُّن الأصوات عند الأطفال والكبار وكان أنيس أول من دعا إلى إيجاد نطق نموذجي يُنشر في جميع البلاد العربية، وقد وضع لمشروعه هذا خطة مفصلة تشمل: إعداد المدرسين، واستغلال الإذاعة، وتوجيه السينما والمسرح، والاستعانة بالسلطة التشريعية؛ للقضاء على سلطان اللهجات المحلية، فلا تستعمل في المدارس والإذاعة ودور المسرح والسينما، وكانت صيحته هذه غِيرةً على اللغة العربية.

ودرس دلالة الألفاظ وأنواعها، وبيَّن كيف تكون الدلالة عند الأطفال وعند الكبار وكيف تتطور مع الزمن، وتطرَّق إلى أثر الدلالة في الترجمة، وقد تضمنت مؤلفات إبراهيم أنيس هذه القضايا وغيرها"[2].

1 – ينظر: محمد خير رمضان: تتمة الأعلام للزركلي، ص: 12.

2 – علي النجدي ناصف: الدكتور إبراهيم أنيس– مجلة مجمع اللغة العربية– القاهرة– الجزء (40) سنة 1977م.

من مؤلفاته: "الأصوات اللغوية"، و"من أسرار اللغة العربية"، و"موسيقى الشعر"، و"في اللهجات العربية"، وكتاب "اللغة بين القومية والعالمية، و"دلالة الألفاظ"، الذي نال عنه جائزة الدولة التشجيعية سنة (1958م) "[1].

الدواعي التي جعلت إبراهيم أنيس يكتب هذا الكتاب:

بما أنّ اللغة ظاهرة إنسانية، وهي ما تميز الإنسان عن بقية المخلوقات فهي موجودة بوجوده ومشغلة لفكره في حدّ ذاتها بإشكالاتها المتعددة، لذا نجد "إبراهيم أنيس" في كتابه هذا يحاول تحليل إشكالية دلالة الألفاظ، التي كثيرا ما لفتت انتباه اللغويين العرب، وأثارت انتباههم بعد أن كان هذا العلم مبثوثا في مؤلفاتهم، ولم يفرده أحد بمؤلف مستقل لذاته، لذلك لم يصل البحث الدلالي عند القدماء إلى ما يمكن أن يطلق عليه نظرية الدلالة أو علم الدلالة كما تناوله علم اللغة الحديث، وهذا كان دافعا من الدوافع التي جعلته يؤلف كتابه –دلالة الألفاظ–، حيث استقى إبراهيم أنيس معلوماته من أمهات الكتب في طابع علمي يعكس ثقافة الدكتور الموسوعية و الحديثة، وتوسعه هذا من باب الإحاطة بالموضوع بداية من أ صوله إضافة إلى المشكل الأساس –دلالة الألفاظ– تتبعت الدراسة مختلف مراحل هذا الكتاب من مصادره فوقفت على نزاهة الرجل والقيمة العلمية، حيث تنتمي المادة المعرفية لهذا الكتاب إلى حقل اللغويات؛ لأنّه يتناول جانب من اللغة بدراسة علمية، ولم يعرف هذا النمط من الدراسة إلاّ في هذا الحقل الحديث بالرغم من التتبع التاريخي لتواجد اللغة، الموضوع ظاهرة الدراسة –الدراسة العلمية– حديث بطبعه فلم نجد لهذا الأثر التنظير فيما سلف من الدراسات القديمة، وكان لكتاب دلالة الألفاظ فضل السبق في الدرس الدلالي العربي الحديث،ولإثبات ذلك نسوق بعض الأقوال:"فضل الريادة التاريخية في مجال تأليف مداخل في "الدلالة الحديثة"، جعلت منه،

1 – محمد خير رمضان: تتمة الأعلام للزركلي، ص: 12.

منذ 1958مرجعا أساسيا لمن تناول من اللغويين العرب قضايا تمس دلالة الألفاظ بوجه من الوجوه"[1].

ومنها أيضا القول: "ورغم كثرة ما كتب ويكتب بغير العربية في "علم الدلالة" ومناهج دراسة المعنى من وجهة النظر اللغوية، فالمكتبة اللغوية العربية فقيرة أشد الفقر من هذا النوع من الدراسات، فمنذ أن صدر كتاب المرحوم "إبراهيم أنيس" "دلالة الألفاظ" عام 1958م لم تقدم للقارئ العربي أي دراسة علمية للمعنى بمفهومه اللغوي، مما جدّ من أبحاث، وما ظهر من نتائج"[2].

وكذلك القول: " يأتي في مقدمة المؤلفات المعاصرة التي أفردت علم الدلالة بمؤلف خاص كتاب الدكتور "إبراهيم أنيس" "دلالة الألفاظ"، بل إنه ليعدّ أولها دون منازع "[3] .

ويرى بعض البحثين المعاصرين أنه قد غاب عن هذا الكتاب تصور منهجي واضح في عرض المادة و وتنظيمها، ومضمونها فقد قيل: " أن مادة الكتاب تشكو من نقائص واضحة في تنظيمها ومضمونها، ...فهي مادة غير منسجمة ولا يضبطها ضابط منهجي دقيق، بالنظر إلى تعدد مجالاتها بين مباحث مختلفة ومتنوعة لا بين المؤلف الرابط الواضح بينهما، فهي تنتمي إلى تاريخ الأفكار اللغوية، واللغويات العامة، وأصول بعض نظريات المعنى، وجانب في علم النفس واللغويات التطبيقية، واكتساب اللغة، وعلم اللغة التاريخي،...والمعجم، ويبقى المأخذ الرئيسي يكمن في غياب تصور منهج واضح في عرض المادة العلمية "[4].

1 – محمد غاليم، عن البحث الدلالي العربي، ضمن ندوة أعمال : تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1991، ص: 117.

2 – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، سنة 1985 ص: 6 من المقدمة.

3 – عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر (1932–1985)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2013، ص: 370.

4 – محمد غاليم، عن البحث الدلالي العربي، ص: 117.

ويقال أن عذر "إبراهيم أنيس" في ذلك " أن الكتاب محاولة أولى لتقريب هذا العلم إلى ذهن القارئ العربي، فشعور مؤلفه أنه يسلك طريقا جديدا في التفكير اللغوي العربي حال دون أن يخوض في تفاصيل دقيقة قد تحول دون تقدم الإطار العام لهذا الفكر الجديد"[1].

تقديم وعرض:

الإشكالية التي تطرق إليها الكاتب:

لعل أبرز ما يطرأ على اللغة من تغيير، يكون على مستوى الألفاظ ومعانيها، وهذا ما اهتم الباحثون به على مر الأزمان، إذ يقول: "إبراهيم أنيس" " ودّ كثير من الدارسين في العصر الحديث، لو أمكن أن نتتبع ألفاظ العربية في العصور المختلفة لنتبين مدى تطورها من حيث الدلالة، ولنقف على ما أصابها كلها أو بعضها في الاستعمال العلمي أو الأدبي جيل بعد جيل، حتى صارت إلى ما نألفه منها الآن ... ثم يعرضون لتطور هذه الدلالة بتطور العصور والأجيال وأسباب هذا التطور وعوامله في بحوث مستفيضة توشك أن تصبح علما مستقلا من علوم اللغة "[2].

1 – حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص: 162.

2 – أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تح حسين بن فيض الله الهمداني، مركز البحوث والدراسات اليمني، صنعاء، ط 1، سنة 1984، ص: 7.

الفصل الأول

نشأة اللغة ومكونات الدلالة

- **دراسة مقدمة الكتاب**
- **المبحث الأول: نشـأة اللغـة**
- **المبحث الثاني الدلالة أداتها أنواعها وفهمها**
- **المبحث الثالث: الصلة بين اللفظ والدلالة**
- **المبحثالرابع: استحاء الدلالـــة**
- **المبحث الخامس: اكتساب الدلالة ونموها**
- **المبحث السادس: المركز والهامش في الدلالة**

دراسة مقدمة الكتاب:

يشيع بين العلماء ما هو معروف بعجز الألفاظ عن حمل المعاني أو العكس، كما عرض "إبراهيم أنيس" من خلال مقدمة كتابه –دلالة الألفاظ– "لقد عرض أهل الفلسفة والمنطق في بحوثهم إلى دراسة الألفاظ ودلالتها، فهم يرون الألفاظ بدلالتها هذه قاصرة على حمل الذهن والتفكير الفلسفي، وهم يحاولون اصطناع رموز تحمل أفكارهم أشبه برموز الرياضيين، حتى يتفادون الوقوع في ما يثور بينهم في كثير من الأحيان من جدل ونقاش حول حدود كلمة من الكلمات، أو دلالة لفظ من الألفاظ، وغير ذلك ممّا حمل الداعين إلى المؤتمر العالمي اللغوي في **كمبرج سنة 1951** على أن يضعوا في بروجرام المؤتمر العنصر التالي للبحث والدراسة "[1].

ويقصد بالعنصر التالي رموز الفلسفة بدلا من الكلمات، بعيدا عن النحو والصرف كما ورد في الكتاب "موقف اللغة من الفلسفة والمنطق، رجاء الاهتداء إلى نظام منطقي يستقلّ في تكوينه عن النظام النحوي في اللغات، ورجاء الوصول إلى الأسس التي عليها يمكن أن تعرف أجزاء الكلام" [2].

فعلا تجنّب بعض الباحثين استعمالهم للألفاظ اللغوية، ووضعوا مكانها رموز في مجال المنطق إذا عدنا إلى الدراسات العربية القديمة نجد الخوارزمي استعان بالألفاظ ودلالتها في مجال –**الرياضيات**– فقد عثر له على مخطوط بعنوان "**الجبر والمقابلة** "كان يستعين في تصنيف معادلته الجبرية بالألفاظ، فكان يطلق على الرمز الجبري {س} كلمة الشيء ويسمى {س^2} بكلمة المال ويسمي العدد الخالي من مجهول جبري بالعدد الفرد أو المطلق "[3].

لم يبق الحال على ما هو مع جمهور الرياضيين، حيث تخلّو عن الألفاظ إلى رموز الرياضيات تخلصا من سوء الفهم، فأصبحت رموزهم أشبه باللغة الثانية فلا غموض فيها أو إبهام.

1 – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، ص5، من التصدير .

2– المصدر نفسه ، ص5.

3– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، ص6 .

أصحاب علم النفس:

لا يخلوا علم النفس من الألفاظ، فهي وعاء حامل لمؤلفاتهم ونظرياتهم تتصل بالشعور واللاشعور، ويشبه الشعور والذاكرة والتصوّر والتخيّل... وكذلك علاقة الألفاظ بالفطرة و العاطفة و العقل.

أهل اللغة: كانت لهم جولات وأشواط ضخمة في اللفظ ودلالته كما نجد الدكتور "إبراهيم أنيس" يعالج هذا الموضوع على ضوء الدراسة اللغوية الحديثة، **والموسوم لدى الأربيين بـ " SEMANTIK"** دراسة حديثة ظهرت على يد بريال "Bréal " في أواخر القرن 19 في رسالته التي أسماها "Essai de Semantique" فيها عني ببحثه الدلالة في بعض ألفاظ اللغات القديمة من فصيلة اللغات الهندية– الأوربية – مثل اليونانية السنسكريتية و اللاتنية، حيث خرج بنتائج هامة، وقواعد عامة في حدود الدلالة وتطورها"[1].

يبين "**د إبراهيم أنيس**" الفرق بين الدراسات اللغوية القديمة في اللفظ والدلالة وكونها اقتصرت على دراسة الناحية التاريخية الاشتقاقية للألفاظ، ومقارنة الكلمة بنظائرها في الصورة والمعنى، بغية العودة إلى أصل معين، تفرّع إلى فروع في لغة واحدة أو أكثر من لغة، وأغفلوا بهذا دراسة العوامل الخارجية لها التي جعلت الدراسات الحديثة هدف تصبوا إليه ومنحى بيّن في دراستها، وتكمن في العوامل الخارجية ذات الأثر في الألفاظ من إنسانية واجتماعية، ويتساءلون عن أسباب انكماش دلالة بعض الألفاظ أو انحدارها أو تطورها، والكشف عن عوامل ودوافع مرّت في تاريخ الأمم مسببة لما سبق ذكره[2].

ويذكر "أبو حاتم الرازي" في كتابه "الزينة "قضية إنتاج الجماعة أو الفرد لبعض الألفاظ وجُعلت متداولة والتي أُثبتت في عام 1923م من خلال كتاب " Heaming of meaing " لمؤلفيه RICHARD ،وOGDENT، وفيه يعالجان مشاكل الدلالة من نواحيها المتعددة المعقّدة على

1 – أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، ص: 8.

2 – ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 7.

ضوء دراسة اجتماعية ونصية من شعور وعاطفة[1].

لم يبق هذا المجال من الدراسة حكرا على اللغويين فقط، بل أصبح ميدانا خصبا للباحثين من مختلف العلوم مطلع القرن العشرين، "ومنهم عالم الطبيعة "بريجمان" "Bridgeman" يحدثنا عن حتمية دخول الألفاظ ودلالتها إلى المخابر و المعامل مثلها مثل الظواهر الطبيعية، وإلا أهملت الدلالة إذا لم تخضع للتجربة, ويمثل بكلمات مثل الدكتاتورية الديمقراطية, الحرية، إذا لم يبرهن على وجودها عن طريق التجربة عدت عبئا وهراء وجب إهماله. كذلك كان لحقل القانون حضورا ممثلا في رجل القانون"ثورمان أرنولد" thorman ornald، الذي يبين لنا خضوعنا لسيطرة الألفاظ خضوعا يشبه العبودية[2].

أما الصحفيون كانت محاولاتهم أشبه بمحاولات الهواة، منها بحوث العلماء المتخصصون ويبدوا هذا واضحا حين تأكيدهم سبب التعاسة بين الناس يعزى إلى تباين دلالة الألفاظ بينهم واختلاف فهمهم لها، وافتقاد الأسس والمقاييس المشتركة بينهم في الأذهان نحو تلك الدلالة ويرون أن لا سبيل إلى خير البشرية, إلاّ بتحديد مدلولات الألفاظ تحديدا دقيقا لا يحتمل خلافا أو نزاعا, بحيث تتضح في الذهن الإنساني وضوحا لا يدع مجالا لأي شك أو سوء فهم[3].

يذكر المؤلف بعد هذا قولين لمؤلفين هما (قاليراند) قائلا "إنّما يتكلم الإنسان ليخفي ما يدور في ذهنه وما تختلج به خواطره ", ويشاركه (كربكنجار د) حين يقول "إنّ اللغة قد تستعمل في كثير من المناسبات ليستر بها المتكلم خلوه من الأفكار و المعلومات"[4]. إذن الألفاظ و الدلالات تؤدي دورا خادعا من نفاق وزيف و تغطيه في نقص الأفكار و تشتتها وقلة المعلومات عند كثير من الناس .

1 – ينظر: أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، ص: 9.

2 – ينظر: المرجع نفسه، ص: 9.

3 – ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 9.

4 – المصدر نفسه، ص:11.

ممّا ذكر كله حول مشاكل الألفاظ و الدلالات، بالرغم من كونها وسيلة تفاهم وتواصل بين الناس إلاّ أنّ النزوع حول وسيلة أخرى ظاهر جلي، يتمثل في الاتصال الذهني بين الأفراد أشبه بالتفاهم الروحي، الذي يكفي بمجرد النظر إلى الآخر، فيدرك كل منهما كل ما يدور في خلد الآخر فلا يدخل التحايل من نفاق ورياء وكذب التي قد تحملها الرموز الصوتية –الألفاظ و الدلالات– فيحلّ الإخلاص و المحبة بين البشر مكان الكره و النفور.

لعل في هذا خير من الله عز وجل لأنه لم يطلعنا على ما في أذهان بعضنا البعض، لبعض الخصوصية, وجنّبنا شرا أكبر بشر أصغر, ممّا جعلنا مجتمعا إنسانيا راقيا يسوده التعاون، وإن ثابته بعض النقائص[1].

1 – ينظر: إبراهيم أنيس دلالة الألفاظ، ص: 12.

نشأة اللغة ومكونات الدلالة

المبحث الأول : نشأة اللغة

المطلب الأول :المحاولات الأولى للاهتداء إلى النشأة:

نشأة اللغة كانت قبلة تستهوي الباحثين منذ الحضارة الإنسانية القديمة، والعلماء يفترضون في هذا الفروض، ويقيمون التجارب حتى أوائل القرن العشرين، حين بدأ العلماء ينصرفون عن هذا النوع من البحث لكونه من مسائل ما وراء الطبيعة، فلا جدوى من الاستمرار فيه.

وتذكر الدراسة بعض المحاولات في هذا الصدد، "حيث لم يكن هذا البحث حكرا على العلماء والفلاسفة والمتكلمون وأهل الأصول، بل حتى بعض الملوك كانت لهم تجارب في هذا الصدد، فهذا الملك الفرعوني "أبستميك" يعزل طفلين منذ الولادة في صمت مطلق حتى مرحلة النطق، فنطقا بكلمة "بكوس" Becos" التي تعني في الفريجية –لغة قديمة– الخبز فخاب أمل الملك في أن أصل اللغات المصرية، بل الفريجية كما أثبتت التجربة.

–محاولة كل من ملك صقلية "فردرك الثاني" سنة 1200م والملك "جيمس الرابع" ملك اسكتلندا سنة 1500م كانت نفس تجربة الملك الفرعوني "أسمتيك" متّخذين منها وسيلة لتهديهم نشأة اللغة وكيف نطق الإنسان الأول"[1].

–محاولة العالم السويدي في القرن السابع عشر، إثبات أن أصل اللغات هي السويدية فزعم أنّ الرب تكلمها، وآدم تكلم الدنمركية، والحية تكلمت الفرنسية.

– موقف العالم التركي في سنة 1934م –مؤتمر لغوي– حين ذهب إلى أن التركية هي الأساس التي انشقت من كل اللغات مستدل على هذا بكلمة تركية معناها الشمس– gumes والشمس أول ما استرعى نظر الإنسان الأول.

–محاولة بعض من علماء اللغة كشف أسرا ر النشأة، بدراسة الأطفال الذين عثر عليهم في الغابة ربّتهم الذئاب، أو القردة، أو الغزلان، مثل ما وجد في صحراء حلوان إلا أن المحاولات باءت بالفشل

1 – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، ص13–15.

لأن الأطفال بعد مدة زمنية في البيئة البشرية أصبحوا يتكلمون ويأكلون مثل البشر، إلا أن الذئاب والقردة والغزلان لم يفعلوا هذا ولو علّموا[1].

ونجد في كتاب "علم اللغة" "لعبد الله وافي" قوله:"للغة نشأتان: نشأة حينما أخذ الإنسان يلفظ أصواتا مركبة، ذات مقاطع وكلمات متميزة للتعبير عمّا يجول بخاطره من معان وما يحسه من مدركات، ونشأة حينما يشرع الطفل يقلد أبويه والمحيطين به فيما يلفظونه من مفردات وعبارات فتنتقل إليه لغتهم عن هذا الطريق"[2].

إذن يذهب عبد الله وافي في نشأة اللغة إلى كونها طبيعة تصدر عن الإنسان للتعبير عن ما بداخله، أو هي تقليد اللاحق بالسابق –الطفل لوالديه–

المطلب الثاني: ما ذهب إليه العرب في نشأة اللغة

شغل موضوع نشأة اللغة أذهان الباحثينَ على مدى الأزمان، فكانت آراؤهم تكاد أن تكون متشابهة في كلّ عصر، فآراؤهم إمّا أن تنحوا منحىً اعتقاديٍ وهذا ما قاله أهل التوقيف وإما اصطلاحية تواضعية.

-**أصحاب الفرقة الأولى:** يذهب أصحاب هذه النظرية أنَّ اللغة إلهامٌ إلهي ألهمه للإنسان، وهذا الرأي أطلق قديماً، و ممن ذهب إليه "هيرقليدس" المتوفى 480 ق.م قائلاً "(الأسماء تدلُّ على مسمياتها بالطبيعة لا بالتواطؤ والاصطلاح، وأنّ هذهِ الأسماء قد أعطيت من لدن قوة إلهية لتكونَ أسماءً لمسمياتها)"[3]، وقد تبنى هذا الرأي مجموعة من علماء اللّغة على رأسهم "ابن فارس" و"ابن جنّي" اللذان يذكرُان أنّ (الله سبحانه وتعالى علمّ آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات)"[4] ودليلهم على ذلك قوله تعالى " **وَعَلَّمَ آَدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ**

1 – ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 15.

2– عبد الله وافي، علم اللغة، نهضة مصر، ط 9، سنة 2004، ص: 80.

3 – محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، دار الشرق العربي، بيروت، ط 4، د ت، ص: 47.

4– أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار ، الجزء الأول، الناشر المكتبة العلمية، د ط، ص: 41.

كُنْتُمْ صَادِقِينَ" [سورة البقرة الآية 31]، في هذا دلالة على أن لا يد للإنسان في نشأة اللغة سواء على مستوى اللفظ أو الكلمة .

– ومن الأدلة الواضحة على توقيفية اللغة قوله تعالى "**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ**"**[سورة الروم الآية 22]**، فكما هو ظاهرٌ في الآية الكريمة أن السماوات والأرض خلقٌ من خلقه واختلاف الألسنة بمعنى اللغات من آياته فهذا تعزيزٌ لمن أقرّ بتوقيفية اللغة .

– وردا على أصحاب الاصطلاح في زعمهم و جعلوا من الآية التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها "**إِنْ هِيَ إِلاَ أَسْمَاءٌ سمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ**"**[سورة النجم الآية 23]**، حجة لما ذهبوا إليه.

أما الاحتجاج بلغة العرب فيذهبون إلى أنها لو كانت مواضعة بين أصحابها لما عدت لغة العرب حجة على أصلها، ولو كان الاحتجاج بلغتنا جائز أيضا.

ولقد بلغنا عن "أبي الأسود" أن أمرأ كلمه ببعض ما أنكره أبو الأسود فسأله أبو الأسود عنه فقال: "هذه لغة لم تبلغك" فقال له: يا ابن أخي لا خير لك فيما لم يبلغني" فعرفه بلطف أن الذي تكلم به مختلق.

– يقول إبراهيم أنيس: "...ترى أن القائلين بالتوقيف يعتمدون في أكثر أدلتهم على النصوص النقلية، ويفسرونها على حسب أهوائهم ليستنبطوا منها ما يؤيد آرائهم"[1].

–**أصحاب الاصطلاح**: أغلبهم أهل منطق من أصحاب اللغة – فرقة معتزلة– أتو بكلام ابن جني دليل على ما ذهبوا إليه وهو على ضربين: التواضع و الاصطلاح حين يقول "كما أن يجتمع حكمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء المعلومة فيضعوا لكل واحد سمة ولفظا إذا ذكر عرف به"[2]، حقيقة التواضع تفرض نفسها في أي لغة كانت لأن حاجة المسميات واردة في

1 - إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ، ص 17.

2– أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ص44.

ما استجدّ منها، وذكرها دون إيجادها للعيان على وجود المسمى الجديد ولا يكون هذا إلا بالتواضع والاصطلاح.

-يذهب ابن جني إلى أن أصل اللغات هو المحاكاة للأصوات الطبيعية من حفيف، وزئير، وخرير ومواء، وقصف الرعد، وغيرها، وتكونت بعدها دلالات تدل على كلمات تحاكي هذه الأصوات وتطورت إلى أن أصبحت حاملة لمعنى غير الذي كانت تدل عليه"[1].

ويعقب إبراهيم أنيس عن مذهب العرب في نشأة اللغة فيقول:" استمر الخلق بعد عصر ابن جني وابن فارس بين علماء اللغة وأهل الكلام، وكان ينتهي أحيانا بأن يقف بعضهم موقفا وسطا فيقول بأن اللغة بدأت توقيفية ثم انتهت إلى الاصطلاح والمواضعة، وهكذا نرى أن العرب لم يهتدوا إلى رأي يجمعون عليه، أو يرجحونه بصدد النشأة اللغوية"[2].

انقسام العرب وتعدد أرائهم يدل دلالة كاملة على الأهمية التي حضي بها موضوع نشأة اللغة وموسوعية علماء الأمة العربية، فكل أوّل أصلها حسب وجهة نظره الخاصة، وأدلى بأدلة من القرآن الكريم، أو أدلة مستنبطة من البيئة، أو نقلت عن السلف الحكيم في رأيهم أو ما سبقهم من الحكماء.

المطلب الثالث: النظريات التي ظهرت في أوربا في نشأة اللغة خلال القرن19

1 – ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص ، ص 46.

2- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 20.

نظريات المحدثين في نشأة اللغة

-Bow wow الباو واو نظرية المحاكاة:

ويرى القائلون بهذه النظرية أن اللغة نشأت اعتماداً على تقليد أصوات الطبيعة، وهذه النظرية ليست جديدة فقد قال ابن جني "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها، إنما هو من الأصوات والمسموعات، كدوي الريح وحنين الرعد، وخرير الماء وشحيح الحمار،...و يعد هذا عندي وجهٌ صالح متقبل"[1]، ولعل أقدم إشارة إلى هذا الرأي ما ورد عن الخليل بن أحمد وسيبويه، كما ذكر "ابن جني" في الخصائص، ولم يُشر إلى هذه الآراء عند الغرب إذ يلزم الإشارة إليها، فليس من الإنصاف أن تطلق مثل هذه الآراء ولا يشار إليها من قريب أو بعيد. ولاقت هذه النظرية قبولا في القرن التاسع عشر وأيدها علماء، مثل "جسبرسن" و"الدكتور إبراهيم أنيس"، ومنهم من سخر من هذه النظرية وعلى رأسهم "ماكس مولر"، إذ وصفت النظرية بأنها تقف بالفكر الإنساني عند حدود حظائر الحيوانات، وتجعل اللغة الإنسانية الراقية مقصورة النشأة الفطرية الغريزية، ويقول: "رينان" "ليس من المعقول أو المفهوم أن الإنسان وهو أرقى المخلوقات يقلد أصوات مخلوقات أدنى منه وأحط ليستنبط من تلك الأصوات المبهمة الغامضة كلمات لغته الراقية السامية "[2].

Pooh pooh نظرية بوه بوه أو التنفيس عن النفس:

وهذه النظرية ترى أن لكل إنسان انفعالات تعود إلى غريزته، فيعبر عنها بحركات أو أصوات، مثل البكاء والضحك والانقباض و الانبساط والخوف والحزن والسرور. "ولذلك ربط دارون" بين النشأة اللغوية للإنسان و تلك الأصوات الغريزية والانفعال"[3]. فالشعور بالازدراء والغضب يصحبه النفخ بالفم بوه بوه ويقابله بالعربية أف، وهذا ما صرح به القرآن " **وَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا**" [سورة الإسراء الآية 23].

1– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 20.

2 – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، ص 20.

3 – المصدر نفسه ، ص 23.

والرد على هذه النظرية أنها تحصر اللغة بالإحساس، فتنشأ الأصوات، وتتجاهل الحاجة إلى التفاهم أو التخاطب و التعبير عن ما في النفس.الحقيقة أن تلك الشهقات، والتأوهات، لا تعدوا أن تكون أصوات عرفية تختلف باختلاف الشعوب والأمم، فصوت الدهشة عندنا هو آه(ah) وليس أوه (oh) كما هو الحال عند الإنجليز الذين استقى منهم دارون ملاحظته، فلكل شعب صوت خاص عند البكاء أو الأنين أو الدهشة أو الازدراء ونحوها من الانفعالات الغريزية[1].

دنج دونج Ding dong

وترى هذه النظرية أن فطرة الإنسان، قد ولّدت عنده قدرةً لبناء الألفاظ وأن الإنسان، في طبعه يَودُّ التعبير عن ما في داخله، فالإنسان يتأثر بالحوادث ويعبر عنها. "وأن كل أثر خارجي يتأثر به الإنسان يستلزم النطق ببعض الأصوات"[2]، وهذه النظرية تقف حائرة وتتساءل كيف أمكن الإنسان التزود بالألفاظ اللغوية؟ فالنظرية تحمل في طياتها الغموض وأول من دعا إلى هذه النظرية عالم اللغة (ماكس مولر)

أي أن الألفاظ لا تعدوا أن تكون صدى لتلك المؤثرات الخارجية، غير أن معرفة كنه الصلة بينهما أمر عسير على أذهاننا، هذا الأخير كان نقدا للنظرية وأصحابها الذين أحاطوا أنفسهم بالألغاز والسحر، مما جعل معظم اللغويين الآن يمرون عليها مرور الكرام.

يو هي هوه Yo-He-Ho:

وهذه النظرية نظرية العالم الألماني "جيجر"، وهي ترى أن اللغة نشأت من أصوات جماعية صدرت عن مجموعةٍ من الناس في أثناء قيامهم بعمل شاق يحتاج إلى تعاون، وهذا الصوت يشبه ما نسمعه اليوم بين بعض العمال، وهم يؤدون عملاً شاقاً، فيرددون أصواتاً هي (يو هو)، ويتكرر هذا العمل بهذه الكيفية من الأصوات، فتنوعت بحيث أصبحت رمزاً وهذه النظرية لا يمكن الأخذ بها، إذ

1 – ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، ص: 25.

2 – المصدر نفسه، ص 25.

أن هذه الأخيرة لا يمكن أن تشكل ألفاظا فتبني لغة، فهي لا تكاد تعدو عن تكرير لأصوات تقف عند حد معين.

والأمر الذي يمكن أن ننتفع منه في هذه النظرية، أنها "عالجت النشأة اللغوية في ضوء المجتمع الإنساني "[1]. أي أن نشأة اللغة كانت إثر اجتماع الإنسان بأخيه الإنسان، ولم تنشأ عنه وهو منعزل، وبهذا يربطون بين نشأة اللغة وتكوين المجتمع الإنساني.

المطلب الرابع: أحدث الآراء في نشأة اللغة:

وعلى رأس هذه النظريات (جس برسن) الذي أخذ بكل النظريات السابقة وأسس عليها أسس علمية واضحة المعالم، وخاضعة للتجربة الحديثة، تعتمد هذه النظرية على الطريقة الاستقرائية، فتستعرض الملاحظات والتجارب ثم يخلص إلى النتيجة، وقد أسست هذه النظرية على ما يأتي: اللغة عند الطفل، لغة الأمم البدائية، تاريخ التطور اللغوي.

1- دراسة نمو اللغة عند الطفل:

من منطلق أن مراحل تطور نمو اللغة عند الطفل، هي المراحل نفسها التي مرّ بها الإنسان قبل أن تكتمل إنسانيته، وحتى نشأت له لغة إنسانية من أصوات و مدلولات كالتي نألفها في اللغات الآن، إلاّ أن الغلو في الاعتماد على دراسة مراحل نمو لغة الطفل، تسمى الفرق بين ظروف معيشة أطفال الآن مع الأطفال في البيئة البدائية، فالطفل مقلد للغة أبويه لا مبتكر،لأنه يلفظ ما يتداول في بيئته، بل قد يكون الطفل البدائي مبتكر للغة لأنه لا يستعملها، بل يخترع ما لم يكن موجود على غرار طفل الآن، فهو قد هيئ له التعلم والمعلمين وغير ذلك، قد نعتمد على دراسة نشأة اللغة عند الأطفال ولكن في مرحلة المناغاة حتى قبل نهاية السنة الثالثة لأنها مرحلة تتصف بأصوات مبهمة تعبر عن اللذة أو الألم، وهذا مشترك فيه جميع الأطفال في كل زمان أو مكان[2].

1- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 26 .

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص 29.

وقد اقتصر "لويس" في كتابه (Infant speech) على دراسة مراحل نمو الطفل، فالطفل في غضبه يصدر أصواتاً أنفيةً كالنون والميم، وفي سروره يكرر أصواتاً حلقية أو قريبه من الحلق كالكاف والعين والجيم"[1]، وكاستنباط من العلماء يرون أن أداة النغي في جميع اللغات البشرية تتضمن صوتا أنفيا ...من الممكن أن صوت الغضب الفطري قد تولدت عنه الأدوات التي تعبر عن النغي في اللغات.

لغة الأمم البدائية:

يرى الباحثون أن لغات الأمم البدائية تمثل مرحلة قديمة في نمو اللغات وتطورها، وهي بهذا تلقي ضوءا على ما كانت عليه لغة الإنسان في العصور القديمة، وبمقارنتها بلغات الأمم المتمدنة ترينا الطريق الذي سلكته اللغة في تطورها والعناصر التي تخلصت منها أو أبقت عليها.

كل هذه الاقتراحات لا تحيلنا على أصل نشأة اللغة مهما كانت اللغة بدائية، لأن اللغة البدائية هي في حد ذاتها تطور لما سلف من قبلها، إذن هي لا تدلنا على أصل نشأة اللغة مباشرة .

الدراسة التأريخية :

وهذا ممّا يمكن حصرهُ بأن الباحثين درسوا اللغة تاريخياً فبدؤوا بالعكس، فقد بدؤوا بدراسة اللغة في العصر الحاضر ثم عادوا إلى العهود الماضية فبدأت المقارنة ما عليه من اللغات كاللغة الألمانية الحديثة والقديمة واللغة الإنجليزيه ولغة شكسبير وقد توصلوا إلى نتائج منها:

النتائج التي وصل إليها جسبرسن من هذه الدراسة:

1-**الاتجاه نحو تيسير الأصوات:** يعني الميل العام الذي لوحظ في تطور اللغة، فعند المقارنة بين النصوص القديمة والحديثة تبين للباحثين أن التطور الصوتي في اللغات يميل في غالب الأحيان نحو تيسير النطق بها، والاقتصاد في الجهد العضلي أثناء صدورها، وترتب على هذا التسهيل ثلاثة ظواهر[2].

1 – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، ص: 29.

2 – ينظر: المصدر نفسه، ص: 32.

-خلو اللغات الحديثة من المجموعات الصوتية المتنافرة التي يتعثر في نطقها الألسن مثل ما جاء في قول امرؤ القيس:

"رُبَّ جِفْنَةٍ مُثْعَنْجِرَة" أي ملأى "وَطَعْنَةٍ مُسْحَنْفِرَة" أي متسعة "تَبْقَى غَدًا بِأَنْقَرَة"[1] هذا الأمر كان شائع في اللغات القديمة، ثم تطورت الأصوات وأصبحت أميل إلى التسهيل .

-الميل نحو التقصير في بنية الكلمات، بينت الدراسات الحديثة على أن النصوص القديمة في معظم اللغات قد تضمنت كلمات طويلة كثيرة الحروف، مثل ما روت كتب اللغة التراكيب الآتية " جَادَلْتُهُ "فَاجْرَنْفَشَ" أي (غضب) "وَاخْرَنْطَمَ"[2] أي (تكبّر) .

-لا أساس للإدعاء القائل بثنائية اللغة (تتكون من صوتين) بل كانت طويلة ثم أصبحت قصيرة على ثلاثة أو ما يزيد.

طريقة تكون الصوت عادة كان بخروج الهواء من الرئتين أما العكس بدخوله عبر الفم فقليلا إلا في حالة الدهشة أو التضجر أو غيرهما ويسمي هذا العلماء بـ"cliccs" لكن وجود هذه الظاهرة واضح في اللغات القديمة دلت عليها البحوث ومنها عينات في اللغات الإفريقية في القبائل البدائية .

- **الميل إلى الغناء في أثناء النطق:**

دلت الملاحظات الحديثة على أن كثير من اللغات في صورها القديمة كانت تعنى بالتنغيم وتعدد الدرجات الصوتية أثناء النطق، وهذا لازال سائدا في كثير من اللغات البدائية حتى يحسب السامع أن كل كلامهم غناء، سواء في السرور أو الغضب، هذه الميزة غير موجودة في اللغة المدنية الحديثة، أما اللغة الصينية فيها تنوع نغمي، يدل على تنوع الدلالة للفظة الواحدة، فلا يعدّ من الغناء كما هو موجود في اللغات القديمة[3].

صورة خيالية لنشأة اللغة:

1 – إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2،سنة 1952، ص 31.

2 – المرجع نفسه، ص: 31.

3 – بنظر: ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 34،35.

يذهب بعض العلماء إلى أن نشأة اللغة كانت إثر صدور الأصوات التي كانت تصاحب اللعب واللهو دون معرفة معنى لها، ثم تطور هذا النطق من مجرّد اللعب والمتعة وأصبح له هدف فيما بعد، واشتمل في التعبير على كل ما يدور بخلد الإنسان، شأن النطق في التطور هو شأن الكتابة، حيث بدأ التعبير الكتابي بصورة واحدة تدل على مجموعة من المعاني، وتطوّرت إلى أن أصبح لكل صوت حرف هجائي، أي بدأ الكلام في كتلة ثم انقسم إلى عناصر تسمى الكلمات. أما كيفية اكتساب الكلمات لمعاني فهذا أشبه بالمناغاة عند الأطفال عن طريق المحاكاة والتقليد، ثم الربط بين الدال والمدلول، مثل الهمهمة غير المفهومة عندما يصورها أحد لقتل وحش أمام ذويه، فيصبح هذا الكلام دال على هذه المصارعة ويتكرر كلما تكررت وإن لم تفهم همهمته في البداية ثم تصبح دلالتها هذه الحادثة[1].

المبحث الثاني الدلالة (أداتها ، أنواعها ، فهمها)

1 – ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 35–37.

المطلب الأول: أداة الدلالة بين اللفظ والكلمة:

إن أداة الدلالة هي اللفظ أو الكلمة، تكاد تجمع المعاجم العربية على أن الألفاظ ترادف الكلمات في الاستعمال الشائع المألوف، فلا فرق بين أن يقال أحصينا ألفاظ اللغة أو كلمات اللغة.

إسهام النحاة القدامى في ضبط معنى الكلمة:

إن النحاة حاولوا التفريق بين اللفظ والكلمة والقول، وكانت خلاصة كلامهم "أن الكلمة أخص لأنها لفظ دل على معنى"[1]، "لاشك في أن الكلمة عبارة عن ائتلاف مجموعة من الأصوات التي لا معنى لها في حد ذاتها، إلا أن ائتلاف هذه الأصوات في ما بينها، وبكيفية معينة يعطيها معناها أو معانيها، وذلك حسب التواضع والاصطلاح" [2].

تعريف الكلمة عند النحاة:

1- **تعريف الزمخشري** :" الكلمة: هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع"[3].

2- **تعريف ابن عقيل**: " الكلمة: هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد"[4].

3- **وهي كما جاء في لسان رضي الدين الإستراباذي** " لفظ وضع لمعنى مفرد"[5].

إذن الألفاظ ما هي إلا عملية النطق وكيفية صدور الصوت، وما سيتبع هذه الأصوات من حركات في اللسان والشفتين دون معنى، و إن حضر في هذا الرصف الصوتي المعنى أصبحت كلمات.

يذهب "الدكتور إبراهيم أنيس" في هذا الرأي من خلال إيضاحه لمعنى العنوان- دلالة الألفاظ- فهو يرى أن اللفظ كلمة دون معنى، والكلمة لفظ ذو معنى، وهذا الاستعمال يدل على الصلة بين ما ننطق به من أصوات وما تدل عليه من دلالات .

---

1 – المصدر نفسه، ص: 38.

2 – المعنى وشكله، أعمال الندوة الملتمة، كلية الأداب منوبة، تونس، ج2، سنة 1999، ص: 579.

3 – موفق الدين أبو البقاء ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان تح: إميل بديع يعقوب، ط1، ج1 2001م، ص: 18.

4 – عبد الله بن عقيل العقيلي بهاء الدين، شرح ابن عقيل ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر دار التراث، دار مصر للطباعة، ج1، ط 20، سنة 1980، ص: 16.

5 – شرح الرضي على الكافية للإستراباذي، منشورات جامعة قابوس، بنغازي، ج1، ط 2، سنة 1996، ص: 19.

الدلالة التي تحملها الكلمة هي التي تجعل الحدود بين الكلمة وبقية الكلمات في النظم- السياق- فكلمات الجملة متداخلة متشابكة، يرتبط بعضها ببعض في أثناء النطق ارتباطا وثيقا وليس من الكلمة عنصر صوتي يحدد بدايتها أو نهايتها حين تكون في الكلام المتصل .

كانت بعض المحاولات لتحديد الكلمات بطريقة صوتية كالذي ذهب إليه المحدثون من اللغويين، على أساس الصوت عن طريق النبر، لكن النبر قد يكون في بداية الكلمة أو في نهايتها وهذه النتيجة عبّر عنها "**فندريس**": " لا يكفي لتحديد الكلمة...، لأنه لا يعين حدودها إلا بصورة ناقصة، نعم إن النبر في بعض اللغات يتوقف على آخر الكلمة، وفي البعض الآخر نرى أن مبدأ الكلمة هو المنبور، ولكن هذه الحالات لا تستغرق جميع الإمكانيات"[1].

حقيقة المعنى الذي يفصل بين الكلمات، نهاية الأولى وبداية الثانية، واضحة عند الأطفال في مرحلة النطق، يحملون ما أنتج أبائهم من كلام في كتل دون تمييز بين أجزائها، وهذا من خلال التجربة، اسأل الطفل – ما اسمك يا شاطر– يجيب فلان وكرر السؤال وحرِّف في صيغة السؤال خارجا به عن المعنى مع المحافظة التقريبية للأصوات، ما سمك يا شارد فيجيب عن اسمه لأنه لا يعلم المعنى.

من نتائج الترابط الموجود بين الكلمات

1- **الإدغام** بين النهاية و البداية سواء في المتماثل أو المتجانس أو المتجاور[2].

1 – فندريس جوزيف، اللغة، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1950 م ، ص: 87.

2 – ينظر: إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مطبعة نهضة مصر ، ص 90.

2- تواجد بعض الكلمات لم تكن في اللغة وأصبحت منها مثل كلمة (جاب) بالعامية هي تداخل كلمتان قد تكونا (جاء بكذا)أو كلمة (عقبال) وهي نتاج لعقبى و لكم فتغيرت اللام إلى كلمة عقبى فأصبحت عقبال (لكم، لهم، لك ....)"[1].

الكلمات التي يدور حولها الدرس في كتاب دلالة الألفاظ هي تلك الكلمات الواضحة في اللفظ والواضحة في المدلول وتتميز بين العناصر اللغوية في كل اللغات البشرية، لأن كل من هذه الكلمات يتضمن دلالة اجتماعية معروفة مألوفة بين جمهور المتكلمين من أبناء تلك اللغة.

المطلب الثاني:

أنواع الدلالات:

اختلاف أنواع الدلالات يبقى مرهون بوجهات نظر الباحثين فيها،أمثال الجرجاني، وحلمي خليل، وأحمد مختار عمر، فكلٌّ يتناولها ويقسمها من جهته؛ لذا نجد من يجعل أنواع الدلالة كالتالي: الدلالة المعجمية والدلالة الوظيفية والدلالة السياقية، وغيره يجعلها: الدلالة اللفظية والدلالة الصناعية والدلالة المعنوية، وآخرون يجعلونها: الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية والدلالة النحوية والدلالة المعجمية أو الاجتماعية وهناك من يقسمها على غير ذلك.

وقد اختار الدكتور " إبراهيم أنيس " التقسيم الأخير لأنه جارٍ على المستويات اللغوية

1 -الدلالة الصوتية:

يشكل الفونيم الفرق الدلالي بين الألفاظ، ففونيما (الفاء، الكاف) شكلا الفرق الدلالي بين كلمتي (أفل،أكل)، كما يشكل الفونيم –أحياناً– فرقاً دلالياً جزئياً بين الكلمتين و إن لم يتغير الحقل الدلالي، كالفرق الدلالي بين كلمتي (قبض، قبص) في وقتنا الحالي، فالأولى تعني المسك باليد بينما الثانية تعني المسك بإصبعين مع وجود الألم، والتفريق الدلالي بينهما ليس بدقيق، لكني سقته للتمثيل[2].

1 – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 41.

2 – ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 47.

كما يشكل النبر شكلاً من أشكال التأثير الصوتي في الدلالة، كأن ينبر المتحدث الكلمة الأهم في الجملة وغير ذلك.

ويعد التنغيم من التأثيرات الصوتية المهمة التي قد تغير دلالة التركيب اللغوي بشكل كامل ويضرب الدكتور إبراهيم أنيس لذلك مثلاً في التركيب (لا يا شيخ)[1]، الذي قد يحمل عدة دلالات مختلفة:

- الاستفهام.
- التهكم والسخرية.
- الدهشة والاستغراب.

2 -الدلالة الصرفية:

توجه الصيغة الصرفية للكلمة، الكلمةَ لجهة دلالية معينة، فصيغة فعّال و استفعل –مثلاً– تُحمِّل الكلمة دلالة زائدة على دلالة صيغة الجذر اللغوي، ففي الأولى تدل الصيغة الصرفية على المبالغة كما في حمّال من الحمل وهي دلالة لا توجد في صيغة الجذر اللغوي، وفي الثانية يدل السين والتاء والفاء على الطلب كاستغفر من غفر.

3 -الدلالة النحوية:

1 – المصدر نفسه، ص: 47.

العلاقة بين الدلالة والنحو (التركيب) علاقة وثيقة والتأثير متبادل بينهما، فالوظيفة التركيبية تؤثر في الدلالة وتغييرها يؤدي إلى تغير في الدلالة، كما قد يؤدي الخطأ في التركيب إلى خطأ في الدلالة أو يؤدي إلى تشويه الدلالة[1].

4 -الدلالة المعجمية:

والمقصود بالمعجم هنا هو المعجم الذهني للدلالات، الموجود في أذهان أبناء المجتمع، وليس المعجم الكتاب، ولعل الأمر ليس كما ذهب له بعض المؤلفين، كالدكتور حلمي خليل الذي يفرق بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية فيقول:" لذلك نراهم يفرقون بين الدلالة المعجمية للكلمة، والدلالة الاجتماعية لها، باعتبار أن الدلالة المعجمية هي دلالة الكلمة داخل المعجم، أما الدلالة الاجتماعية، فهي دلالة الكلمة في الاستعمال"[2] إذن فالدلالة المعجمية –على هذا الشرح– هي الصورة الكتابية للدلالة الاجتماعية، وكل وحدة دلالية لها دلالة توحي بها في ذهن السامع، وإن كانت مفردة لم ترد في سياق. وتُكتسب هذه الدلالة عن طريق التلقي والمشافهة، وقد يحدث تغير في دلالة الوحدة الدلالية مع الزمن وهو ما يسمى بالتطور الدلالي.

نجد في كتاب "علم الدلالة" "لأحمد مختار عمر" التقسيم الآتي للدلالة المعجمية:

أ – " الدلالة الأساسية:ولها عدة أسماء كالمركزية أو التصويرية، وهي العامل الرئيس للاتصال اللغوي، وقد عرفها (نيدا) بأنها:"المعنى المتصل بالوحدة المعجمية حينما ترد في أقل سياق أي حينما ترد مفردة" كدلالة كلمة رجل على الرجل أو بطريقة أخرى: +إنسان +ذكر +بالغ ، التي تختلف عن دلالة كلمة ولد التي هي: +إنسان +ذكر –بالغ.

ب -الدلالة الإضافية:وتسمى أيضاً الدلالة العرضية أو التضمينية، وهي الدلالة التي تملكها الكلمة عن طريق ما تشير إليه إضافة إلى دلالتها الأساسية.

1 – ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 48.

2 – حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، ط2، سنة 1998، ص: 103.

ويمكن أن نضرب لذلك مثلاً بكلمة (ثعلب) التي تدل دلالتها الأساسية على الحيوان المعروف وتدل دلالتها الإضافية على المكر، ومثل ذلك كلمة (نحلة) التي تدل على النشاط بدلالتها الإضافية، ودلالة كلمة (القطيع) التي تدل على الانقياد.

ولا يشترط إن تتفق الدلالة الإضافية بين المتكلمين باللغة وإن اتفقت الدلالة الأساسية، كما يمكن أن تتغير هذه الدلالة مع ثبات الدلالة الأساسية.

ج -الدلالة الأسلوبية:وهي الدلالة التي تفرضها الظروف الاجتماعية، أو رتبة العلاقة بين المتكلم والسامع، أو رتبة اللغة المستخدمة (رسمية، أدبية ...) مثل الكلمات التي تطلق على الزوجة في اللغة العربية (حرمه، عقيلته، زوجته) فكلمة (حرمه) تستخدم غالباً في مستوى الحديث الرسمي[1].

د -الدلالة النفسية:وهو ما يشير إلى ما تتضمنه الكلمة من دلالات عند الفرد، فهي دلالة فردية ذاتية.

هـ -الدلالة الإيحائية:وهذه الدلالة تتعلق بكلمات لها القدرة على الإيحاء بدلالة أخرى، ومن أهم أنواع هذه الدلالة هو ما يتعلق بالكلمات المجازية أو المؤسسة على المجاز، وكذلك الأمر في كلمات اللامساس"[2].

وهذه الأنواع الجزئية من الدلالة المعجمية قد تكون سبباً في اختلاف التأويل، كما أن الاختلاف في الدلالة النحوية قد ينتج عنه اختلاف في التأويل.

المبحث الثالث: الصلة بين اللفظ والدلالة

تعددت الآراء في هذا الحقل، فهذا النوع من المواضيع صعب لأنه يتصف بالزئبقي لعدم الإدراك العلمي لكنهه، فتعددت البحوث فيه حسب زاوية النظر إليه، ولكل فريق من العلماء براهينه وأقاويله في هذا الشأن، فما هي أبرز الآراء التي تعد دراسة مقاربة لكنهه التي من خلالها نحاول الاقتراب من فحواه.

1 – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 36–37.

2 – المرجع نفسه، ص: 36–37.

1- نظرة الفلاسفة اليونان:

يقول ابراهيم أنيس: "وكان أوضح ما استرعى انتباههم فتساءلوا عن تلك المشكلة التقليدية في الربط بين اللفظ ومدلوله، وهل تلك الصلة طبيعية كالتي بين الأسباب الكونية، وما تسبب عنها، هل هي كالصلة بين الدخان والنار...، ومن أجل هذا أطلق هؤلاء المفكرون على الصلة بين اللفظ ومدلوله الصلة الطبيعية أو الصلة الذاتية "[1].

من الواضح أنّ الفلاسفة اليونان انقسموا إلى فريقين، أحدهما أصحاب الصلة الطبيعية

ويرأسهم "أفلاطون" أستاذ "سقراط"، أما الفريق الثاني يمثّله "أرسطو" فيذهب إلى أن الصلة عرفية اصطلاحية.

يقول "إبراهيم أنيس": "وكان بجانب هؤلاء المفكرين طائفة أخرى من فلاسفة اليونان، يرون أن الصلة بين اللفظ والدلالة لا تعدوا أن تكون اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس، وتزعّم هذا الفريق فيما بعد "أرسطو"[2].

ويورد إبراهيم أنيس نقد الفلاسفة "لستيوات شاس" إذ يقول: "إنهم مناطقة أقوياء، يندر نظائرهم في العالم، إلاّ أنّهم لم يزالوا على مقربة من المقدمات البدائية، فلم تتخلّص عقولهم من

سحر الكلمة، وحسبوا أنها ذات قوى كامنة فيها كما قد يحسب الطفل أو معتقد الشعوذة، ولولا ذلك لما أقاموا كل شيء على (اللغويين) وشغلوا النفوس بهذه الفكرة إلى اليوم"[3].

علماء العرب:

أخذ هذا البحث حيزا كبيرا في البحوث العربية، مبرزا الاختلاف الواضح في الآراء فهي

1 – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 62.

2– المصدر نفسه، ص: 63.

3 – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 64.

على الأكثر من وجهة، فنجد "عباد بن سليمان الضميري" يقول " إن بين اللفظ ومدلوله طبيعية حاملة لا واضع على أن يضع، وإلا تخصيص الاسم المعين بالاسم المعين ترجيحا من غير مرجع"[1].

يذهب هذا الأخير إلى أن رأي الفلاسفة اليونان من أصحاب النزعة الطبيعية أهي مجرد نقل لما سلف، أم حقيقة الوضع تؤدي إلى هذا الطرح من الإشكال صلب الموضوع.

مذهب ابن جني في هذه المسألة التي أسال فيها الكثير من الحبر لأنه أخصها بأكثر من ستين صفحة في كتابه على أربعة فصول :

1- في فصل عنوانه "في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول و المباني"وذكر في هذا مثال كلمتي المسك و الجلد, لأن الجلد يمسك ما تحته من جسم[2].

2- في الفصل الثاني يتحدث ابن جني عن الاشتقاق الأكبر و يأتي بمثل كلمة "جبر" ويُجرى عليها التقلِبات، وكلها تدل على معنى مشترك في فحواه القوة و الجبروت مثل جبر العظم, والجبر الأخذ بالقوة و القهر.

يدور ابن جني في حلقة الاشتقاق بل يركز أكثر عليه حتى يجعل الاشتراك في بعض حروف اللفظ يجعل من معناه مشتركا تبعا لذلك, ويعطى مثال كلمة (دمث) التي منه دماثة الوجه والخلقة أي السهولة و (دمثر) التي تعني السهل من الأرض و الجمل الكبير[3] .

لابن فارس فصل بهذا العنوان صلة اللفظ بالدلالات في كتابه يقول ابن فارس:"...ومن هذه الإرهاصات، الإشارة إلى مابين الألفاظ ومعانيها من صلات، و الظن لا الاعتقاد أن في طوائف من الألفاظ لا في اللغة كلها، دلالات تكشفها الأصوات، ومعانيها توضحها المعاني، وأبرز هذه

1 – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، ص: 64.

2 – ينظر ابن جني ، الخصائص،ج2، ص: 118.

3 – ينظر: المصدر السابق، ص: 65.

الطوائف أسماء الأصوات, قال في (أ,ح) الهمزة و الحاء أصل واحد, وهو حكاية السعال وما أثبته من عطش و عيظ ...."[1].

ويذهب مذهب ابن جني فيقول :"...باب الأجنية الدالة في الأغلب الأكثر على معان

وقد تختلف "و ضرب أمثلة يوضح بها ما يريد, فقال:" يقولون: ما كان على فعلان دل على الحركة و الاضطراب نحو: النزوان و الغليان ..."[2] .

"ولو قلنا أراد ابن فارس بما تمخضت عنه طائفة من الدراسات الحديثة، لوجدنا آراءه أقرب إلى هذه الدراسات من آراء غيره و حسبنا أن نستعين على هذه المقايسة بدراسة الدكتور إبراهيم أنيس نفسه ..."[3].

رأي المحدثين: أما الباحثون الأوربيون فقد ظهر فيهم "جسبرسن" الذي "كان ممن ينتصرون لأصحاب المناسبة بين الألفاظ و دلالاتها, غير أنه حذرنا من المغالات في هذا إذ يرى أن هذه الظاهرة لا تكاد تطرد في لغة من اللغات, وهي مقصورة على الألفاظ المعبرة عن الحالات النفسية التي تعبر عن الغضب أو النفور و الكره.

وظهر فيهم من يعارض هذه الفكرة ومن أشهرهم "دو سوسير" الذي يرى:

"أن الصلة بين اللفظ و المعنى اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام مطرد...."[4] .

يقدم الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (دلالة الألفاظ للقارئ)، مقدمة حول هذا العلم المتداخل بالعلوم الأخرى ويحاول تقديم علم الدلالة وأهم نظرياته للدارس العربي.

وموضوع الكتاب أهميته كبيرة لعدة أسباب منها: أنه كتاب في علم الدلالة و الذي يعتبر من الكتب المتقدمة، قدم فيه صورة كاملة لدلالة اللفظ.

---

1 – غازي مختار طليمات، نظرات في علم الدلالة عند أحمد بن فارس اللغوي، حوليات كليو الأدب– الكوين–، الحولية 11ن الرسلة 68، سنة 1990، ص: 16.

2 – المرجع نفسه، ص: 17.

3 – المرجع نفسه، ص: 20.

4 – غازي مختار طليمات، نظرات في علم الدلالة عند أحمد بن فارس، ص: 21.

المبحث الرابع:

استيحاء الدلالة:

يذكر "إبراهيم أنيس" قول "فندريس": "كل كلمة أيا كانت توقض دائما في الذهن صورة ما، بهيجة أو حزينة، رضية أو كريهة، كبيرة أو صغيرة، معجبة أو مضحكة، تفعل ذلك مستقلة عن المعنى الذي تعبر عنه، وقبل أن يعرف هذا المعنى في غالب الأحيان..."[1] .

يشير هنا "فندريس" إلى ذلك المعنى الذي يقع في النفس عند سماع أي كلمة لم نصادفها من قبل فهل هذا المعنى حقيقي أم مجازي وهذا على مدى اتصاله بالمعنى الحقيقي للكلمة، أي ما توحي إليه اللفظة .

ويقول أحمد مختار: "المعنى الإيحائي هو ذلك النوع من المعنى الذي يتعلق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الإيحاء نظرا لشفافيتها، وقد حصر "أولمن" هذه التأثيرات في ثلاثة هي:

أ)- **التأثير الصوتي** : وهو نوعان، تأثير مباشر وذلك إذا كانت الكلمة تدل على بعض الأصوات أو الضجيج الذي يحاكيه التركيب الصوتي للاسم، ويسمى هذا النوع (prindry onomatopoeia) مثله في العربية صليل السيوف وخرير الماء...، والنوع الثاني التأثير غير المباشر ويسمى (secindary onomatopeia) مثل القيمة الرمزية للكسرة...التي تربط في أذهان الناس بالصغر أو الأشياء الصغيرة[2].

ب)- **التأثير الصرفي**: ويتعلق بالكلمات المركبة مثل (hot plate; redecarste; handful) والكلمات المنحوتة مثل كلمة صهصلق في العربية من (صهل وصلق وغيرها...).

ج)- التأثير الدلالي: ويتعلق بالكلمات المجازية، أو المؤسسة على المجاز أو على أي صورة كلامية معبرة."[3] .

1- دلالة الألفاظ ، ص: 78.

2 - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 39.

3 – المرجع نفسه، ص: 39،40.

وفي الأخير يتضح استحاء الدلالة غير مقصور على حروف اللفظ وأصواته، بل يتعداه إلى بنية اللفظ ، فمجرد النطق بألفاظ مرتجلة مثل(سقيم، مطافع ، عقول) يوحي إلى الذهن أنها أوصاف أو أسماء، في حين أن صيغ أخرى مثل (ملع، بلهط، يسافح، انشكع) توحي إلى الذهن أنها أفعال.

المبحث الخامس: اكتساب الدلالة ونموها:

- **لدى الأطفال:** تختلف نشأة اللغة بين الطفل الجديد و الإنسان الأول فيعد الطفل مقلد لا مبتكر للغة لأنه يحاكى أبويه و المجتمع ويتعلمها منذ مرحلة المناغات وقبل هذا, بل ذهب بعض العلماء إلى أن اللغة تتغلغل إلى الطفل وهو في رحم أمه, إذن الطفل مقلد لما سبق ابتكاره من غيره, أما الإنسان الأول فهو مبتكر للغة ومقلد لأصوات الحيوان والطبيعة وغيرها مثل صوت أخيه الإنسان.

- **كيف يكتسب الطفل اللغة والدلالة :**

- "لا يكاد يمر الطفل بمرحلة المناغات، حتى يدرك من طرف سمعه أن هناك مجموعة صوتية ينطق بها الكبار حوله، وهي التي تسمى بالألفاظ,...ويبدأ الطفل بعد السنة الأولى من عمره يربط بين ما يسمع وما يترتب على هذا الذي يسمعه من أحداث, ونقول حينئذ إن مرحلة الفهم بدأت عند هذا الطفل, ...ثم لا يلبث الطفل أن ينطلق من عقاله فيقلد الكبار في نطق ألفاظهم، ويوجه كل عنايته لإجادة النطق بها، لأنها الوسيلة لإدراك رغباته و الحصول على ما يشتهى"[1].

- تلفظ الطفل بمجموعة من الألفاظ يكون مبنى على التشابه في الصفات الأساسية بين ذوات الأشياء التي يسميها، فكل ما ننام عليه علم على أنه سرير وكل ما يمشى على أربع يسمى باللفظ الأول الذي أطلق عليه فإن كان حمار أو حصان أو بقرة كلها واحد، وغير هذا من المسميات والمنشأ بها.

1 – إبراهيم أنيس،دلالة الألفاظ، ص: 90.

- **ما يصادف الطفل من صعوبات إزّاء طائفة معينة من الألفاظ:**

1- الألفاظ ذات الدلالات المتقابلة أو المضادة مثل فوق /تحت

2- **المشترك اللفظي:** مثل عدم التفرقة بين دلالتي كلمة المغرب الدولة و المغرب وتحت الغروب أو كلمتي خيار الناس وخيار الخضر.

3- الكلمات التي تتشابه أصواتها مثل كلمة نعناع و المقلاع، الاقتراع و الاختراع ..

4- استعمال الطفل لضمائر يكون فيه خلط مثل أنا ذاهب ويخاطبك بكلمة أنا بدل أنت وقد كان بعض الفلاسفة الألمان يختلفون باليوم الذي يستطيع الطفل فيه استعمال الضمير أنا متخذا من هذا دليلا على بدء شعور الطفل بكيانه واستقلاله[1] .

الدلالة عند الكبار:

لتحديد دلالة أي لفظ كان يجب أن نقف عند حدود ثلاثة وهي المرجع، الصورة الذهنيةالتركيبة الصوتية (اللفظ)، كما هم معروف أن الرابط الحقيقي بين المعاني والألفاظ هو الاعتباط أي علاقة غير مبررة, مثلا لو سمي الكرسي شجرة لكان هذا ما خلا الألفاظ الطبيعية مثل خرير الماء، وصرصرة الصرصور ...

يكسب الواحد منا دلالة ألفاظه بالتجارب التي يتعلم منها يوميا، فالملاحظة بالعين تُدْخل المرجع إلى الذهن حتى يصبح صورة ذهنية، ولا نُقْصر دخول الصورة إلى الذهن عن طريق حاسة النظر فقط، بل تختلف من شخص إلى آخر حسب استعماله لحواسه، لما تثبت الصورة في الذهن وبتعود تربط معها مباشرة الصورة الصوتية، فهذه الأصوات ما هي إلا الألفاظ المصاحبة للدلالة التي هي حقيقة الشيء و الصورة الذهنية .

أما المعاني المجردة مثل الحب، الكراهية، البغض،... لكل واحد منا تجربته الخاصة وشعوره

1 - ينظر: إبراهيم أنيس،دلالة الألفاظ، ص: 94.

الخاص، وبهذا يتشكل حدود قواميس لدلالات و ألفاظ خاصة لكل منا، أن سألت أحد عن (أحزن) كلمة أو (أسر) كلمة لكانت الإجابة عن هذا السؤال فيها نوع من الغموض، أما إن قلت له ما أسر كلمة لديك أو أحزن كلمة لديك في قاموسه الخاص لأجابك.

يقول إبراهيم أنس " هذا إلى أننا نختلف في أجسامنا بين صحة ومرض أو ضعف وقوة ويختلف في تركيب أعصابنا وأمزجتنا, وفيما يرثه كل واحد منا من أبويه وأجداده، ويشرك كل ذلك أثرا كبيرا في فهمنا للأمور، وتحديد للدلالات وهكذا نرى أن الدلالة أمر فردي لا تكاد تتحد فيه الأذهان، بل تتباين فيه تباين كبير[1].

المبحث السادس: المركز والهامش في الدلالة:

الدلالة المركزية:

اللغة هي الوسيلة الوحيدة للاتصال بين أفراد المجتمع الإنساني من خلالها ينتظمون ويتفاهمون.

الألفاظ هي الوعاء الحامل للمعاني التي ترسّبت عبر الزمن، والتجارب المختلفة في حياة الناس السابقة تركت أثرا في فهم الألفاظ، ومع هذا فالناس يتوصّلون إلى فهم مشترك، وقد يكون تقريبيا ويكفي في حياتهم العامة، وهذا لا يعيقهم في تبادل وجهات النظر، وهذا القدر يسجله اللغوي في معجمه ويسميه الدلالة المركزية، فكلمة (شجرة) تتخذ وضعا واحدا في حياة الطفل، إلا أن لفظة (الحب) تختلف باختلاف العمر، وتتطور دلالة اللفظ، ففي الطفولة تأخذ المفردة وضعا يختلف عن الشباب والكبر.

الدلالة الهامشية: هي الدلالة التي تختلف باختلاف الأفراد وأمزجتهم وتجاربهم، وتركيب أجسامهم، فلو أن متكلم نطق بكلمة أمام السامع، أراد أن يوصل إلى ذهن السامع دلالتها، فتكون في ذهن السامع دلالة معينة اكتسبها السامع من تجاربه السابقة كلفظة (الموت) مثلا، فأصحاب الأمزجة المرحة لا يفزعهم لفظ الموت، ولكن المتشائم يرعب من لفظ الموت[2].

1 - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 104.

2 – ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، 107.

تختلف الدلالة الهامشية باختلاف المجالات التي تحل فيها، منها السياسة والقضاء، وتتغير هذه الدلالة بما يحدث من متغيرات، (فالديمقراطية كنظام سياسي يفهمها الروسي فهما مباينا لفهم الأمريكي)، فالسياسيون في مثل هذا الأمر تراهم يسيّرون الألفاظ حسب هواهم، فالغرض هنا من الدلالة التأثير في عقول الناس، وهذا الأمر ليس في السياسة فقط بل في غيره كالقضاء، فالأمر في القضاء لا يختلف كثيرا، فعندما يحتدم نزاع بين طرفين ويثار الجدل، يكون سببه أن كل مدّع أو فاهم للّفظ قد أمال اللفظ إلى تفسيره، أو صبغه بما يريد أن ينتفع به، وقد يطال هذا الأمر اللفظ المشترك، وهذا ما يمكن ملاحظته في الشريعة، فمثلا تقف الشريعة أمام اللفظ فيفسر في معنيين فمثلا (قرء) – ثلاثة قروء– تفسر بالحيض أو الطهارة في الحيض ولهذا نرى جدلا أثير عند المفسرين والأصوليين والفقهاء[1].

1 - ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 110–115.

الفصل الثاني

تطور الدلالة ودورها في الترجمة ودلالتها في المعاجم

- المبحث الأول: تطور الدلالة
- المبحث الثاني: عوامل التطور الدلالي
- المبحث الثالث:أعراض التطور الدلالي
- المبحث الرابع:دور الدلالة في الترجمة
- المبحث الخامس:نصيب الألفاظ العربية من الدلالة
- المبحث السادس: كنوز الألفاظ العربية

الفصل الثاني: تطور الدلالة ودورها في الترجمة ودلالتها في المعاجم

المبحث الأول: التطور الدلالي:

لا يخفى على كل دارس أن دلالة اللفظ تتطور بفعل ما يحصل من ظواهر تاريخية ونفسية اجتماعية، فألفاظ تفنى و أخرى تستحدث، و ألفاظ تفقد دلالتها الأصلية، وهذا بفعل اللغة التي هي عرضة للتطور على مر الزمن، حيث يقول "عبد الكريم محمد حسن": "لقد شبّه العلماء اللغة الإنسانية بالكائن الحي، لأنها تحيى على ألسنة المتكلمين بها، وتتطور وتتغير بفعل الزمن، مثلما يتطور الكائن الحي ويتغير، وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته، ونموه، وتطوره"[1]؛ ومنه أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، تحيى في أحضان المجتمع وتستمد كيانها منه، فهي تتطور بتطوره، فترقى برقيه، وتنحط بانحطاطه، لذلك يبين لنا "إبراهيم أنيس"أنها عرضة للتطور في مختلف عناصرها (أصواتها، وقواعدها، دلالاتها، ومتنها) وأنّ التطور اللغوي ظاهرة عامة تصيب كافة مستويات الدرس اللساني على تفاوت بينها في السرعة والوضوح، والتطور لا يعني سوى مجرد التغيير ليس إلاّ"[2]، وللتطور الدلالي عوامل مختلفة وهي بصفة عامة أسباب لغوية، واجتماعية ونفسية، وقد توجد غير هذه العوامل تتحكم في التطور الدلالي. يوضح ذلك "ستيفن أولمن" بقوله: "هذه الأنواع الثلاثة مجتمعة تستطيع فيما بينها أن توضح حالات كثيرة من تغير المعنى ولكنها مع ذلك ليست جامعة بحال من الأحوال"[3].

أ) ظاهرة التطور الدلالي:

التطور الدلالي يرتبط باللغة التي هي وسيلة للتواصل، و تطور الحياة يؤثر بشكل كبير على تطور اللغة؛ يرى "إبراهيم أنيس" أن تطور الدلالة ظاهرة شائعة في كل اللغات ففي اللغة الإنجليزية ظهر هذا التطور عندما جاء "شيكسبير" وأدخل الكثير من المدلولات الجديدة لبعض الألفاظ المستخدمة

1 - ينظر عبد الكريم محمد حسن حبل، في علم الدلالة، دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، سنة 1997، ص: 33.

2 – ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 122.

3 - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة: ترجمة كمال محمد بشر،الناشر مكتبة الشباب، دط، دت، ص: 157.

وأدخل أيضاً بعض الألفاظ الجديدة، ويضيف قائلا: أن الألفاظ التي استعارتها الإنجليزية من اللغة اللاتينية، قد أصبحت ذات دلالات مغايرة لما كانت عليه من لغتها الأصلية[1]، حيث يقول: إبراهيم أنيس: "دارس التغير الدلالي في لغة من اللغات يستعرض أمامه فيلما من الأحداث التاريخية لتلك الأمة التي تتكلم بهذه اللغة ...فيحدثنا بعض اللغويين المحدثين أنّ لقب القيصر في اللغة الألمانية "Kaisser" والمعروف في اللغة الروسية في صورة "التيار" "tiar" إنّما يعود إلى اسم علم اشتهر به أحد أباطرة الرومان والمسمى "بيوليوس قيصر"، ثم تطورت دلالته وأصبحت عامة تطلق على كل حاكم عظيم الشأن، وقد اشتق اسم ذلك الإمبراطور الروماني من فعل لا تيني ومعناه (يقطع أو يشق) لأنه ولد بعد عملية شق البطن فسمي كذلك، ولا زال الأطبّاء والجراحون يسمونها بالعملية القيصرية "cassring operation"[2].

واستعرض إبراهيم أنيس بعض الألفاظ الشائعة التي تطورت دلالتها تطورا بينا من أصل قديم ودخلت العامية منها:"كلمة: "بايخ" العامية المألوفة في لهجة الخطاب التي انحدرت من فعل عربي صحيح قصر استعماله على النار والغضب، فيقال باخ الرجل: أي سكن غضبه، و باخت النار: أي سكنت وفترت.

كلمة "مبطوح" أي مجروح في رأسه اتُّخِذت من الفعل بطحه على وجهه ألقاه، مما يترتب عليه جرح الرأس .

كلمة "البغددة" بمعنى التدلل والتي يقتصر استعمالها على وصف المرأة، جاءت إلينا في استعمال قديم هو (تبغدد الرجل أي انتسب إلى بغداد وأهلها) أي أصبح راقيا متحضرا في سلوكه.

وكذلك كلمة "الحرامي " اللص، هو في الحقيقة نسبة إلى الحرام، وتخصصت دلالته واستعمل بهذه الدلالة الخاصة في القرن السابع الهجري في بعض النصوص المروية.

1 - ينظر إبراهيم أنيس، ص: 123.

2 – ينظر إبراهيم أنيس، ص: 124.

"الحريم"في الاستعمال القديم هو الذي حرم مسه، ولكن اشتهر في لهجات الخطاب بوصف المرأة[1].

حصان التي تستعمل في لهجات الخطاب بمعنى الفرس وهي في الاستعمال القديم وصف لها فيقال: (فرس حصان بين التحصين يمنع صاحبه من الهلاك).

أضيف إلى ما تقدم أن "طول اليد" كان وصفا للسخاء والجود فأصبح الآن يوصف به السارق وأن الطهارة شاعت الآن في الختان، وأن الكبش عند القدماء هو سيد القوم، وأن الترعة عندهم هي فوهة الجدول من الماء، إلى آخر ما هناك من ألفاظ كثيرة تغيرت دلالتها في لهجات الخطاب، أقول إذا أضيفت تلك الطائفة من الكلمات وجدنا أنفسنا أمام قدر كبير من الألفاظ التي تبرهن بوضوح على تطور الدلالة مع الزمن، ولعل موضوع الحقيقة والمجاز هو الذي يرتبط بهذا التطور الدلالي"[2]. لذلك نقول: أن التطور في اللغة مستمر باستمرار الحياة وتفاعلها الحضاري، فهي تقترض تارة بعض المصطلحات تماشيا مع المستجداة المعاصرة عندما يصبح اللفظ القديم ضيقا على حمل المعنى الجديد، أو إحياء ما اندثر من ألفاظ في حلة مغاير لما ألفها السلف.

وفي كتاب علم الدلالة لفايز الداية المراد بالتطور الدلالي: "هو تغير الألفاظ لمعانيها، ذلك أن الألفاظ ترتبط بدلالتها ضمن علاقة متبادلة فيحدث التطور الدلالي كلما حدث تغير في العلاقة من خلال الانتقال من المعنى الضيق أو الخاص إلى المعنى الإتساعي أو العام ، وقد يحدث العكس"[3].

ب)– الحقيقة والمجاز:

وصف القدماء الحقيقة بأنها دلالة أصلية للفظ، والمسئول عنها هو الواضع الأول للغة، كما وصفوا المجاز بأنه ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، وجعلوا كل من الحقيقة والمجاز أقساما منها اللغوي، ومنها الشرعي، ومنها العرفي عاما أو خاصا.

1 -ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، ص: 124

2 - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 124–127.

3 -ينظر فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق :دراسة تأريخية تأصيلية نقدية، ، دار الفكر، دمشق، سنة 1985 م، ص: 21.

ويذكر "إبراهيم أنيس" ما ذكره ابن الأثير "أن فريقا من العلماء كانوا يرون أن الكلام كله حقيقة، وأن آخرين كانوا يزعمون أن كله مجاز ولا حقيقة فيه، ثم يبرهن في حديث مسهب على فساد هذين المذهبين وينتصر للرأي الذي ساد بين الدارسين من جمهور العلماء من أن اللفظ قد يستعمل استعمالا حقيقيا، وقد يستعمل مجازيا"[1].

وفي كتاب دلالة الألفاظ يلخص السيوطي تلك المذاهب المختلفة فينسب "لابن فارس" القول: "بأن أكثر الكلام حقيقة وينسب لابن جني رأي آخر مجمله أن الكلام أكثره مجاز، ثم ينتهي برأي " الأسفراييني" وهو من ينكر المجاز ويأباه"[2] .

ويأخذ "إبراهيم أنيس" عن القدماء في هذه المسألة اهتمامهم بالواضع الأول لأية لفظة – الشمس مثلا– وهل استخدمت بالمعنى الذي نعرفه الآن ؟ وقد تكون في الأصل لفظة مجازية، ثم صارت بكثرة الاستعمال حقيقة، والبحث في هذه المسألة من الغيبيات الذي تتجاوزه الدراسات اللغوية المعاصرة، ويأخذ عليهم تجاهلهم أثر اللفظ في الفرد حين يسمع اللفظ ويقرؤه، فهو الذي يستطيع الحكم على الحقيقة والمجاز"[3].

"فالحقيقة هي استعمال شائع معروف، أما المجاز فهو انحراف عن هذا الشيوع، وقد يسمع الفرد اللفظ فلا يرى فيه مجازا، ويسمعه آخر فيعجب به، ومن خلال هذه النظرة الفردية للألفاظ يستطيع الباحث تبيين الحقيقة أو المجاز في بيئة معينة عند جيل من الناس، وسيجد قدرا كبيرا من الاشتراك بينهم في الحقيقة والمجاز، ولا يكون الحكم صحيحا على الحقيقة والمجاز في الألفاظ، إلا إذا اقتصر على بيئة معينة وجيل خاص، فالمجاز القديم مصيره إلى الحقيقة، والحقيقة القديمة قد يكون مصيرها إلى الزوال والاندثار، وتنتقل الألفاظ من مجال إلى آخر، جيلا بعد جيل إن قدّر لها البقاء وذلك هو التطور الدلالي، فكثير من الدلالات كانت سائدة في الجاهلية أصابها البلى ولم تعد صالحة

1 - ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، ص: 127.

2 - المصدر نفسه ، ص: 127.

3 - ينظر المصدر نفسه، ص: 128.

للاستعمال، أي أن أسمى درجات الجدة والطرافة في الاستعمال هو ما يسمى بالمجاز، ثم تتقلص تلك الجدة مع الزمن ويؤول أمرها إلى الألفة والذيوع، وتصبح ما نسميه بالحقيقة التي قد ينتهي أمرها إلى الاندثار والزوال بتطور الحياة الاجتماعية للإنسان"[1].

وكل هذا نتيجة لما يكتنف دلالة الألفاظ من ظروف و ملابسات تتغير وتتنوع بتنوع التجارب والأحداث، ولذلك تتم الانحرافات في الدلالة مع توارث الأجيال.

ونجد في كتاب "علم الدلالة" "لفايز الداية"، أن "التطور الدلالي هو تغير الألفاظ لمعانيها ذلك أن الألفاظ ترتبط بدلالتها ضمن علاقة متبادلة فيحدث التطور الدلالي، كلما حدث تغير في العلاقة من خلال الانتقال من المعنى الضيق أو الخاص إلى المعنى الإتّساعي أو العام، وقد يحدث العكس"[2] ومن خلال هذا يتضح أن تغير الدلالة وتطورها يكون نتيجة عوامل أساسية.

المبحث الثاني: عوامل التطور الدلالي:

تتطور الدلالة في كثير من الألفاظ على مرّ السنين، ويكون على قسمين: تطور لاشعوري يتم في كل لغة وكل بيئة، وتطور مقصود ومعتمد يقوم به علماء اللغة لهدف ما ويكون لهذا التطور عاملين أساسيين هما الاستعمال والحاجة لكل منها عناصر ومقومات.

1-الاستعمال:

تستخدم الألفاظ عبر الأجيال، ونتيجة استخدامها يختار بعض الناس المعاني الهامشية للألفاظ، ويبقى معظمهم يشتركون في استعمالها على معناها المركزي، فإذا ورثتها الأجيال الناشئة و اتخذتها للتعامل والتبادل، لم ترثها على حالها الأولى، بل ترثها مع بعض الانحراف في الدلالة وبمرور

1 -ينظر ِإبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، ص: 130-132.

2 – ينظر: فايز الداية، علم الدلالة العربي– النظرية والتطبيق– دراسة تأصيلية-تاريخية-نقدية ، دار الفكر، دمشق، ط 2، سنة 1996، ص: 21.

الزمن يزداد الانحراف وتصبح الدلالة الهامشية شائعة، ويظهر للجيل الوارث أن للكلمة معنيين أو دلالتين "[1] ومثال ذلك كلمة الغروب في الأبيات التالية للخليل بن أحمد:

"يا ويح قلبي من دواعي الهوى*** إذ رحل الجيران عند الغروب

أتبعتهم طرفي وقد أزمعوا *** ودمع عيني كفيض الغروب

كانوا وفيهم طفلة حرّة *** تفترّ عن مثل أقاحي الغروب

فالأولى: تدل على الوقت ، والثانية: جمع غَرْب: وهو الدلو، والثالثة هي: الوهاد المنخفضة"[2].

1-أ)- سوء الفهم:

لسوء الفهم سهم في تغير الدلالة، قد يسمع الإنسان للمرة الأولى، فيسيء الفهم ويوحى إلى ذهنه دلالة غريبة، ويبقى اللفظ في ذهنه بتلك الدلالة الجديدة حتى تتسنى له فرصة التصحيح، لذا يرى " إبراهيم أنيس": " أنه ليس من الشائع أن تتم هذه الظاهرة بين عدد من الأفراد، كلهم يسيئون فهم الدلالة بطريقة واحدة، مما يؤدي إلى التطور الدلالي، وأحيانا يحدث شيئا أثناء الكلام مثل حركة يد أو غمزة من عين تؤثر في دلالة اللفظ على الرغم من أن ذلك الحادث لم يكن مقصود أو معتمد، الذي يؤدي إلى ظهور دلالة جديدة. وليس من الضروري أن تندثر الدلالة الأصلية، ولكنها تبقى مع الدلالة الجديدة، فيؤدي إلى ظاهرة المشترك اللفظي، الذي يعني أن للّفظة الواحدة دلالتين مختلفتين لا ارتباط بينهما ولا وجه شبه مثل: كلمة الليث تطلق على الأسد وكذلك العنكبوت[3].

سوء الفهم في الحقيقة ما هو إلا نتيجة "القياس الخاطئ"، والتي تلازم كل منّا في الحياة فيلجأ الفرد إلى استنباط الجديد على أساس القديم، معتمداً على نفسه، فيقيس ما لم يعرف على ما عرف من قبل، فيصيب في استنباطه حيناً ويصل إلى الدلالة الصحيحة، ويخطأ حيناً فيستخرج دلالة جديدة قد تصادف الشيوع بين الناس؛ ومن أمثلة القياس الخاطئ: كما جاء في كتاب دلالة الألفاظ "تلك

1 - ينظر ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 134، 135.

2 - ابن معصوم الحسني، أنوار الربيع في أنواع البديع، ج1، ص: 25.

3 - ينظر ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 136.

التي نشهدها بين الطلاب والتلاميذ حين ينحرفون بمعنى كلمة "العتيد" إلى معنى "العتيق" وحين يضنون أن "المستشفى" أو "الرأس" كلمة مؤنثة "[1] .

ب)– بلى الألفاظ:

قد يصيب اللفظ بعض التغيير في الصور، ويصادف بعد ذلك أنه يشبه لفظ آخر في صورته يبين لنا "إبراهيم أنيس" ذلك التشابه في قوله تختلط الدلالتان ويصبح اللفظ يسمى بالمشترك اللفظي مثل: كلمة القماش المألوفة لنا الآن بمعنى النسيج، ولكن عندما نبحث عنها في المعاجم، فنجد معناها عند الفيروزبادي في القاموس المحيط: "القماش"أي أراذل الناس، أو ما وقع على الأرض من فتات"، وعند الجوهري في تاج اللغة وصحاح العربية: "أي متاع البيت". ويظن بعض الدارسين للألفاظ أن كلمة (قماش) جاءت من الكلمة الفارسية: (كماش) بمعنى (نسيج من قطن خشن)، فبذلك تكون الكلمة العربية الأصيلة قد نطق قافها كافاً لسبب أو لآخر، فأشبهت الكلمة الفارسية، وتغيرت دلالتها إلى الدلالة الفارسية أي **النسيج** .ومثال آخر لبلي الألفاظ هو كلمة (الخيشوم) التي تعني (الأنف)، فتطورت هذه الكلمة في بعض لهجات الكلام حتى أصبحت تعني (الفم)، وذلك لأنه أصابها البلى في المعنى فكثيراً ما تطور صور الكلمات، ويترتب على ذلك تطور في الدلالة، وقد يصل هذا التطور إلى أن تندثر الكلمة وتفنى من الاستعمال"[2].

ج)– الإبتذال:

هو العنصر الثالث في الاستعمال الذي يصيب بعض الألفاظ في اللغة لأسباب، منها: السياسي، والاجتماعي، والعاطفي.

أولاً– السبب السياسي: نتيجة للظروف السياسية، نلاحظ انزواء بعض الألفاظ، وانحطاط لبعض الألقاب؛ ويظهر هذا في كتاب "دلالة الألفاظ" بحيث "انزوت كلمات مثل (باشا بيك أفندي)

1 -ابراهيم، دلالة الألفاظ، ص: 137.

2 -ينظر دلالة الألفاظ، ص: 137.

وانحط قدرها على مر الزمان فصارت كلمة (أفندي) ذات قدر تافه بعد أن كان لها مكان مرموق خلال القرن التاسع عشر"[1]. ويوضح لنا "الدكتور عبد التواب" في كتابه "التطور اللغوي" أن كلمة "(الوزير) في اللغة العربية انحطت دلالتها حتى أصبحت تعني في اللغة الإسبانية (شرطي)"[2] ويظيف "إبراهيم أنيس" أنها في الإيطالية تعني (مساعد عشماوي)"[3].

ثانياً– السبب النفسي والعاطفي : و من الألفاظ التي تغيرت بسبب الناحية النفسية، الألفاظ التي تتصل ب: "القذارة والدنس، الموت والأمراض والأشباح، الغريزة الجنسية، فتندثر هذه الألفاظ ويحل محلها لفظ آخر أقل وضوحاُ في الدلالة. فيؤدي إلي ظاهرة التلطف، أو التسميل "euphemism" باللغة الإنجليزية فهي استخدام كلمة أو جملة محل أخرى، عندما يعتقد المجتمع أن الأخرى جارحة أو بذيئة، وهذه الألفاظ دائمة التغير في كل عصر. مثل:

الألفاظ التي تشير إلى (التبول والتبرز)، مثل: (الكنيف– بيت الراحة– بيت الأدب– المرحاض– الكابنيه وهي كلمة أوروبية الأصل.

كلمتي (المدة) و (الصديد): فنرى أن كلمة (المدة) قد انزوت من الاستعمال وأصبحت الآن مبتذلة وحل محلها كلمة (الصديد) التي تحتفظ بقدر من الاحترام في المجتمع.

ومن الألفاظ التي تدل على الموت والأشباح والعفاريت، استبدال كلمة (الحمى) بكلمة (المبروكة) أو قد لا يكون لها اسم ويكتفي الناس بالإشارة إليها بالتعبير (اللي ما تتسمى) وأيضا كلمة (الموت) تستبدل فيستخدم بدلها (توفى– الذهاب– فاضت روحه– انتهى) وهي ألفاظ أقل أثراً في النفوس. ففي أغلب الوقت تتعرض الألفاظ التي تدل على الموت والأشباح والعفاريت إلى التغيير الدائم والتطور السريع ففي بعض الأوقات يؤدي إلى اندثار الكلمة وفي البعض الآخر يؤدي إلى

1 -دلالة الألفاظ، ص: 140.

2 - د. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، . القاهرة، 1983م، ص: 113.

3 -ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 140.

ندرة الاستعمال.وتقوى هذه الظاهرة في البيئات البدائية حيث يلعب التفاؤل والتشاؤم والتطير دوراً كبيراً في حياة الناس"[1].

يقول ابراهيم أنيس: "ليس تفادي الأسماء أو تحاشيها مقصوراً على الشعور بالخوف منها أو الاشمئزاز من ذكرها، بل يكون للهيبة وشدة الاحترام أحيانا مثل: عند الهنود فهم لا ينطقون باسم الرب (يهوفا) ويستخدمون كلمة أخرى تعني السيد (أدناي)[2].

ومن الألفاظ التي تدل على الغريزة الجنسية: فنجد في كل لغة كلمات مبتذلة وأخرى محترمة وكلمات مفضوحة وأخرى مكنية كما في القرآن الكريم، الذي كنى عن العملية الجنسية بألفاظ هي: (الإفضاء- الملامسة- المباشرة- الدخول- الرفث- السر)، كقوله تعالى " نسائكم حرث لكم"وقوله أيضا "أو لامستم النساء"، وقوله "أحل لكم ليلة الصيام الرّفث إلى نسائكم" وغيرها من الآيات، وتكني عنها العامة بالنوم- الاجتماع- الاستحمام.

وممّا تقدم ذكره فإنه توجد ألفاظ تحل محلّ أخرى، وأنّ بعض الكلمات اكتسبت دلالات جديدة، وتنتقل إلى مجالات غير الذي عرفت بها أو شاعت فيها، وتتم هذه التطورات بصورة تدريجية تستغرق زمنا طويلا، معزاة إلى المجتمع في البيئة اللغوية.

2- الحاجة:

بما أن اللغة أداة تعبير عن أفكار الناس وحاجاتهم، وهذه الحاجات والأفكار في تغير مستمر فقد أدّت الحاجة إلى ابتكار مصطلحات كثيرة تتسع لتشمل المعاني الجديدة، أو تنتقل من معنى قديم إلى معنى حديث، مما جعل دلالة الألفاظ تتغير، "وقد يصل الشيوع بالدلالة الجديدة حتى تنسى الدلالة القديمة تماما، فلا يبقى لها أي أثر في أذهان الناس، فمن منا الآن إذا سمع كلمة السيارة أو القاطرة يخطر في ذهنه صورة القافلة في الصحراء، أو الناقة الأولى التي تسير القافلة على هديها"[3].

1 - ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 141-143.

2 - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، ص: 144.

3 - ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 145-147.

فالحاجة تطور مقصود معتمد يتم على يد المتخصصين في اللغة كالشعراء والأدباء، كما تقوم به المجامع اللغوية– مثل المجامع اللغوية العربية– حين تعوز الحاجة إليه.

عناصر الحاجة ودوافعها:

أ)– التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي: المجتمعات والأمم لا تبقى على حال، فمنها من ازدهر ثم تدهور أو فنى، ومنها ما هو حديث النشأة وما هو قديم، فكل تطور في حياة الأمة يترك أثر واضح في لغتها، لأن مظاهر الحياة تتطلب ذلك، فإذا اكتشف المجتمع شيء جديد أطلق عليه اسم ليعرفه مثل ما هو الحال اليوم لكلمة جوال التي اشتهرت للحاجة إلى مثل هذه المفردة وقد يحصل هذا عن طريق التغيير في بعض دلالات الألفاظ، وكذلك الاستعارة ببعض ألفاظ اللغات الأخرى.وللتغيير في بعض دلالات الألفاظ وجب اللجوء إلى وسيلتين:

أ–1)– **إحياء بعض الألفاظ القديمة ووضع دلالات جديدة لها:** مثل (السيارة أو القاطرة) الآن لا يعبّر عن معناها الأصلي وهو قافلة الصحراء، أو الناقة الأولى التي تسير القافلة على هديها وانتشر الآن المدلول الجديد لها أي أنواع من وسائل المواصلات".

أ–2)– **الدعاية السياسية أو الإقتصادية سبب لتوليد بعض الألفاظ جديدة الدلالة** مثل:

الحلاق فتغيرت دلالة الكلمة من الدلالة الأصلية وهي (يدرك على دكانه)، إلى الدلالة الجديدة وهي (دار الزينة)"[1].

الخيّاط فتغيرت دلالة هذه الكلمة أيضا من الدلالة الأصلية وهي (يدرك على دكانه)، إلى الدلالة الجديدة وهي (دار الأناقة).

ب)– الاستعارة بالألفاظ الأجنبية:

1 -ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 145–147.

تقتصر الاستعارة عادة على الألفاظ والكلمات، التي لا تعد من العناصر اللغوية، مثلا لتصريف، وتركيب الجمل، فلا نستطيع أن نستعير تركيب جملة من اللغة الإنجليزية ونستخدم هذا التركيب كما هو في اللغة العربية...فقد استعارت بعض اللغات الأجنبية بعض الألفاظ من اللغة العربية، فنجد أن اللغة الإنجليزية قد استعارت كلمات كثير من اللغة العربية منها الجبر (algebra)، الكحول(alcohol)، القهوة(coffee) الشراب(syrup) ترجمان(dragoman)، ويوجد نوع آخر من استعارة الألفاظ ناتج عن إعجاب أمة بأخرى، وتأثرها بثقافتها؛ فاستعارت اللفظ الأجنبي رغم وجود نظير أصيل له يعبر عن نفس المعنى يؤدي إلى تطور في دلالة اللفظ الأصيل ويؤدي إلى ظاهرة الترادف مثل:لفظ الحرير لم يقتنع العرب به فاستعارو معه ألفاظ منافسة كالسندس، والإستبرق، والديباج فاقتصرت دلالة لفظ الحرير على المعنى العام وليس نوع من أنواعه"[1].

ولهذا نرى أن استعارة الألفاظ أو افتراضها ذات أثر في تطور الدلالات.

المبحث الثالث: أعراض التطور الدلالي:

اللغة ظاهرة اجتماعية، تنمو وتستعمل، وتنتقل بين الأجيال، لتعبر عن أفكارهم وحياتهم وهي في انتقالها تؤثر وتتأثر، فتنمو ألفاظ وتحيا أخرى، وتضيق ألفاظ وتتسع أخرى بدلالاتها، وهذا الاستعمال يعرضها لمظاهر حصرها إبراهيم أنيس في الآتي:

أ)– تخصيص الدلالة: وتسمى أيضاً "تخصيص العام أو تضييق المعنى"[2]: "هو دلالة لفظ معين من المعنى الكلي (الدلالة الكلية) إلى المعنى الجزئي (الدلالة الجزئية)، فهو تضييق أو تحديد دلالات الكلمات وتقليلها مثل: كلمة شجرة التي تطلق على كل ما في الكون من أشجار فإذا أردنا تحديد أو تضييق مجالها نقول شجرة البرتقال، وقولنا شجرة البرتقال المصرية أخص في الدلالة من شجرة البرتقال، فإذا أردنا التخصيص أكثر قلنا شجرة البرتقال في حديقتنا، وتكاد تكون الدلالة هنا كالدلالة في

1 - ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:150،149.

2 - حاكم مالك لعيبي، الترادف في اللغة، بغداد، سنة 1980م، ص: 15.

الأعلام وأسماء الأشخاص كمحمد و علي و أحمد...وكما أن الشجرة خصصت دلالتها بهذه الطريقة، فإنه يمكن تخصيص الألفاظ بطرق أخرى، فإذا قدر لمثل هذا الاستعمال في الدلالة أن يشيع بين جمهور الناس رأينا أن اللفظ تتطور دلالته من العموم إلى الخصوص، وتضيق مجالها، وتقتصر على ناحية منها، وذلك هو الغرض الذي نسميه بتخصيص الدلالة وهو الذي يصيب كثيرا من ألفاظ لغات العالم[1]، ويذكر أيضا كلمة (Meat) التي تعني في الإنجليزية (اللحم)كانت في ما مضى أعم وكانت تعني مجرد (الطعام)، كلمة (Hond) التي تعني نوعا خاص من الكلاب في تلك اللغة كانت في الماضي تعبر عن أي كلب.

"وكذلك الحال في لهجات الخطاب إذ تخصصت كلمة الحريم بعد أن كانت تطلق على كل محرم لا يمس أصبحت الآن تطلق على النساء، وكذلك كلمة العيش التي تدل على الحياة وأسبابها، حين تطلق على الخبز"[2].

وفي هذا يقول "فندريس": "الكلمات العامة لا تكاد تستخدم في الاستعمال بقيمتها العامة اللهم إلا إذا كان ذلك عند الفلاسفة، فكل واحد من المتكلمين يطلقها على نوع خاص من أنواع النشاط، وقد تكلم علماء اللغة عن المعاني المختلفة لكلمة (عملية) فإن معناها يختلف تبعا لما إذا كان الكلام في الجراحة، أم في المالية، أم في الحرب، أم في شؤون الغابات، أم في الرياضة..."[3].

ويقول "عبد الكريم محمد حسن" في كتابه: "في علم الدلالة" أن هذا التغيير يحدث عندما "تخصص ألفاظ، كان كل منها يستعمل للدلالة على طبقة عامة من الأشياء، فيدل كل منها على حالة أو حالات خاصة، وهكذا يضيق مجال الأفراد الذي كانت تصدق عليه أولا"[4].

ومثل ذلك السبت الذي يعنى في اللغة الدهر، ثم خص في الاستعمال بأحد أيام الأسبوع.

1 -ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 152.

2 -ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص:154،153.

3 – فندريس، دور الكلمة في اللغة، ص: 162.

4 - عبد الكريم محمد حسن حبل، في علم الدلالة، ص: 237.

ب)- **تعميم الدلالة:** ويسمى أيضا توسيع المعنى، ويحصل عند الانتقال من معنى عام إلى معنى خاص، ومثلما يصيب التخصيص دلالة بعض الألفاظ، فقد يصيب التعميم دلالة بعضها الآخر بحيث يصبح تطبيق معنى الكلمة على مدى أوسع وأشمل .

ففي كتاب "في علم الدلالة" يتم هذا النوع من التغيير "حين تستعمل الكلمة الدالة على فرد أو نوع خاص من أفراد الجنس أو أنواعه، للدلالة على أفراد كثيرين أو على الجنس كله"[1].

ويقول د. مختار عمر: "ويمكن تفسير توسيع المعنى على أنه نتيجة إسقاط لبعض الملامح التمييزية للفظ" فالطفل حين يستعمل كلمة عم مع كل رجل فقد أسقط الملامح التمييزية للفظ كالقرابة واكتفى بالذكورة والبلوغ"[2]. أي أن الاستعمال اللغوي يقوم باستبقاء ملمح أو أكثر من الملامح التمييزية المكونة للفظ، ثم يطلق اللفظ على ما توفر فيه هذا الملمح.

ومن أمثلة التعميم ما ذكره "إبراهيم أنيس": " أن الناس في خطابهم اليوم يطلقون (الورد) على كل الزهور، و(البحر) على النهر والبحر.

ومن التعميم الناتج عن التشبيه تحويل بعض الأعلام إلى صفات فيقال:"(حاتم) للكريم المضياف، و(عرقوب) لمن عرف بإخلاف الوعود"3.

ج)- **انحطاط الدلالة:**

تفقد بعض الألفاظ شيئا من رونقها وهيبتها في أذهان الناس لكثرة دورانها وشيوعها ولأسباب سياسية واجتماعية ونفسية، فأصبحت الألقاب: "("باشا" "بك"، "أفندى") ذات قدر ضئيل بعد أن كانت مرموقة"[4].

1 - عبد الكريم محمد حسن حبل، في علم الدلالة ، ص: 238.

2 - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط5، سنة 1998، ص: 245.

3 - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 155.

4 - دلالة الألفاظ، ص: 157.

ويذكر "رمضان عبد التواب" من الألقاب أيضا التي أصابها الابتذال "كلمة "حاجب التي كانت تدل على مقام رئيس الوزراء في الدولة أصبحت تدل على البواب"[1].

ونجد في "صحيح مسلم" من أشهر الألفاظ التي كانت تدل على معنى سام ثم انحدرت لتدل على صفة رذيلة هي كلمة طول اليد؛ إذ كانت تدل على السخاء والكرم، فعن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- "أَسْرَعُكُنَّ لحَاَقاً بِي، أَطْوَلُكُنَّ يَدًا"[2]. في حين أصبحت اليوم في لهجات الخطاب تدل على السرقة.

د)- **رقي الدلالة:** هو أن يكون للفظ دلالة أو معنى منحط، ثم تنتقل دلالته المنحطة أو المتواضعة إلى معنى أرقى، ككلمة رسول التي كانت تطلق على كل شخص موفد من قبل الحاكم، أو يحمل رسالة، ثم شرف معنى هذا اللفظ فأصبحت تدل على من أرسله الله تعالى. أو (كلمة السفرة تعني في الأساليب القديمة طعام المسافر و هي الآن الطعام الفاخر الذي يعرض على طاولة فخمة)[3].

هـ)- تغيير مجال الاستعمال:

و مجال الاستعمال هذا هو ما يطلق عليه أيضاً بالمجاز، أو الانتقال المجازي:

الانتقال المجازي: (هذا النقل من مجال لآخر سواء عن عمد أو غير عمد)[4].

وأسباب تغير الاستعمال يعزوها الدكتور إبراهيم أنيس إلى ما يأتي:

1- **توضيح الدلالة:**

حيث تنتقل الدلالة المجردة إلى مجال الدلالات المحسوسة أو الملموسة "(وهذا ما يلجأ إليه الأدباء و الموهوبون من أصحاب المهارة في الكلام كالشعراء، و الأدباء و حاجة الأديب إلى توضيح الدلالة أو تقوية أثرها في الذهن هي التي تحمله إلى الابتداع ومن الأمثلة المذكورة في دلالة الألفاظ قول الشاعر الذي أراد أن يصف لنا كيف قضعلى (ضغن) أقربائه و حشدهم له فقال:

1 -د. رمضان عبد التواب، .التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 113.

2 -صحيح مسلم، دار طيبة الرياض، ط1، سنة 2006، ج1147/2، رقم الحديث 2452.

3 -ينظر دلالة الألفاظ، ص: 158.

4- المصدر نفسه، ص: 160.

"وَذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضَغْنِهِ بِحِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمُ"[1]**

فقد وصف الضغن بصورة بشعة، لحيوان له أظفار و مخالب مخيفة، فهذه العملية تبدوا عاطفية و غير مقصودة، ولا تحتاج إلى تفكير فلسفي أو عقلي و من هذه أيضاً أمثلة (كثرة الرماد) التي تدل على الكرم، و أمثلة كثيرة في مجال الابتداع الأدبي الذي يؤلفه أصحاب مهارة الكلام. فقد استعان على تجلية (الضغن) بصورة بشعة لحيوان له أظفار ومخالب مخيفة"[2].

يمكننا القول أن الألفاظ تخرج دلالتها عن المألوف والواقع إلى شيء مجازي، فاليد جزء من الإنسان، ولكننا نقول يد الباب ويد النافذة ويد الإبريق، والرِّجل أيضا جزء من الإنسان ولكننا نقول رجل الطاولة ورجل الكرسي...، فهذه عملية تصويرية.

4- رقي الحياة العقلية:

الدلالات كما يذكر الباحثون بدأت بالمحسوسات ثم تطورت إلى الدلالات المجردة، وهذا بفعل التطور العقلي وانتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجرد، ويتم عادة بصورة تدريجية، وتظل الدلالتان سائدتين جنباً إلى جنب لمدة ليست بقصيرة، خلاله قد تستعمل الدلالة المحسوسة فلا تثير غرابة أو دهشة، و تستعمل في الوقت نفسه الدلالة المجردة فلا يدهش أحد لأنها أخذت تَأْلفها الأسماع"[3].

وقد نجد في بعض المعاجم العربية ألفاظاً حملت أكثر من معنى، وقد عدها بعضهم من الألفاظ المشتركة. و يورد الدكتور إبراهيم أنيس مفردة (الرطانة) مثلاً هي الإبل مجتمعة وقد أورد لها الفيروز آبادي معنى آخر "(الكلام بالأعجمية)"[4] و مرّ عهد على هذه اللفظة، وهي تستعمل بالدلالتين المذكورتين، وقد غالى بعض الاشتقاقيين من الربط بين الدلالات لمجرد الاشتراك في لفظ من الألفاظ،

1 - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 159.

**- من شعر معن بن أوس المزني.

2 - ينظر دلالة الألفاظ، ص: 160.

3 - دلالة الألفاظ، ص: 161.

4 - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي،القاموس المحيط، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط8، سنة 2005، ج1و2، ص 1200.

و أن الاشتراك في اللفظ قد لا تكون له أي أصالة بل هو مجرد مصادفة نشأت عن التطور الصوتي في إحدى الكلمات، حتى أصبحت مماثلة لكلمة أخرى، فعندهم كلمة (إبليس) من أبلس و جهنم من التجهم، و يرى المحدثون وجوب الحذر والاعتدال في الربط بين الدلالات فكثير من الألفاظ التي تعبر عن دلالات مجردة قد انحدرت إلينا من دلالات محسوسة، وقد انحدرت هذه الألفاظ مثل: حقد المطر: أي احتبس، و حقدت الناقة" أي امتلأت شحماً، وكذلك الشجاعة" الأشجع هو الأسد، والشجع هو الطول، و غيرها من الألفاظ.

وختم إبراهيم أنيس تصنيفه لأعراض التطور الدلالي "بالنقل المتعمد الذي تتطلبه مستحدثات الحياة من منشآت، ومخترعات جديدة، كوسائل النقل — السيارة – القطار– ا لقاطرة – من مجالها القديم إلى مجال حديث دعت إليه الحضارة ومستلزماتها"[1].

المبحث الرابع: دور الدلالة في الترجمة:

من الأسباب التي مهدت لعملية الترجمة هي حاجة الشعوب للاتصال فيما بينها، و تبادل الثقافات، و بناء الحياة الاقتصادية، "إذ أن الاتصال المباشر يتطلب فهم كل طرف للآخر، و بما أن اللغات أدوات و وسائل لتفكير المجتمعات، و هذه الأدوات تختلف من أمة إلى أخرى، كان من الصعب أن تصل وسائل الاتصال إلى نتيجة متكاملة من الفهم.

و أن أصول كل لغة من لغات العالم عبارة عن أسر و فصائل، فبعضها ما هو متقارب في عناصرها، أو من أصول منحدرة من عائلة أو فصيلة واحدة... و أن الوصول إلى أي ترجمة تعطي دلالات متقاربة في ألفاظها، هذا ما يحدث في هذه اللغات التي تنتمي إلى عائلة واحدة، أما لو انتقلنا من عائلة إلى أخرى وإلى فصائل مختلفة للاحظنا أمر الدلالة عند أهل الترجمة يبدو أكثر تعقيداً[2].

و بما أن الشعوب كانت حاجتهم ملحة إلى الاتصال بينهم، فاليونانيون كانوا يحاولون ترجمة ما عند البابليين أو السومريين، للحاجة الملحة إلى اكتساب العلوم والمعرفة، والشعوب الأخرى تحتاج إلى

1 – دلالة الألفاظ، بتصرف، ص: 162–167.

2 -ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 168،169.

التواصل مع الصين و المصريين و غيرهم من الشعوب، و ما نقله "الدكتور إبراهيم أنيس": عن كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي بقوله: "و جاء العرب فحاولوا نقل فلسفة اليونان و علومهم إلى اللغة العربية، فصادفوا المشقة و العسرة و لم يحقق النجاح منهم إلا القليل لأن أكثر المترجمين في العصر العربي نقلوا أثار اليونانية عن السريانية لا عن لغتها الأصلية مما جعل السيرافي يشكك في صحة هذا النقل و يثير تلك المحاورة الطريفة التي كانت بينهم و بين ((يونس بن متى))[1]. حيث تتضح ثورة "السيرافي" في القرن الثالث هجري "على ترجمة يونس بن متى التي سجلها التوحيدي في رسالته، ومنه تبدوا أن مشاكل الترجمة كانت موضع مدارسة ومناظرة بين القدماء، كما هي بين المحدثين، إلا أن عبد القاهر الجرجاني زادها دراسة وتفصيلا في كتابه أسرار البلاغة"[2]، وخرج على الناس بنظريته في الترجمة يقول: "أن العرب تعرف أجزاء الجسم في الإنسان والحيوان معرفة تامة، وقد وضعت لكل جزء منها لفظا خاصا، فالشفة في الإنسان هي "المشفر" للبعير و "الجحفلة" للفرس "[3].

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن بعض الشعراء والرجاز يستعملون بعض الألفاظ مكان البعض الآخر، لتأثرهم بالانفعال والإنشاد، دون أن يهدف عملهم إلى نكتة بلاغية، أو زيادة في التصوير "كاستعمال العجاج كلمة " المرسن" وهي للبعير ووصف بها أنف المرأة قي قوله: "وَفَاحِمًا وَمَرْسِنًا مُسَرَجاً"، ووصف آخر صغار الإبل بأنها "حِفَانٌ" وهذه خاصة بصغار النعام، وقال عنها استعمالات من الاستعارات غير المفيدة"[4].

أما الاستعارة المفيدة كأن تصف رجلا بأنه "أسد"، أو طائرة بأنها عقاب أو نسر" كما في قول شوقي: أَعْقَابٌ فِي عِنَانِ الجَوِّ لاَحَ أَمْ سَحَابٌ فَرَّ مِنْ هَوْجِ الرِّيَاحِ

1 - المصدر نفسه، ص: 169.

2 -ينظر: المصدر نفسه ، ص: 169.

3 - المصدر نفسه، ص: 170.

4 - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق محمود محمد شاكر، الناشر دار المدني بجدة، مكتبة الخانجي، ط1 سنة 1991، ص: 7.

ومن مشاكل الترجمة، أنه لا يصحّ إقحام ضعف المترجم في اللغة سواء التي يترجم منها أو إليها بحيث لا يسمى المترجم مترجما إلا إذا كان مدركا للغتين قراءة وكتابة.

من الصعوبات ما يسمى بهندسة الجمل، فاللغات تختلف في النظام الذي تخضع له الجمل في تركيب كلماتها, بحيث نجد للفعل مكانه الخاص، وكذلك الفاعل والمفعول به لكل مكانه كذلك من حيث التقديم والتأخير، و المشكلات التي تواجه الترجمة كثيرة ونلخص منها ما يأتي:

1- اختلاف المجال الدلالي للفظين يبدوان مترادفين و هذا يشمل:

أ- اتساع مدلول الكلمة و ضيقه في لغة أخرى.

ب- استخدام الكلمة في أكثر من معنى في لغة و في معنى واحد في اللغة الأخرى، و مثال ذلك اللفظ الخاص بالألوان فالأزرق مثلاً كان العرب يطلقه على ما نسميه اليوم بالأخضر والأزرق ومن الثاني تعبير العرب عن درجات الحمرة بألفاظ مثل (أرجوان) للشديد الحمرة بهرمان لما دونه هكذا من الألفاظ ما يحدث صعوبة في الترجمة[1].

و مما ينظر إليه أن اللفظ قد يكون بالعكس. فالعربية فيها دلالة واحدة للفظ معين و اللغات الأخرى لها عدة ألفاظ، مثال ذلك طويل يقابلها، tall, long بالانجليزية ولكل منهما استخدامه الخاص.

2- "اختلاف التوزيع السياقي لكلمتين تبدوان مترادفتين و هو أن اللفظين مترادفان في اللغتين في معناهما العام و لكنهما يختلفان في التطبيق و الاستعمال مثل:

poor man و تعني محتاج مادياً (فقير)

poor boy وتعني محتاج للشفقة

poor helth صحته رديئة

1 – ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 171.

فمثل هذه السياقات تختلف باختلاف الاستعمال و قد تكون من عوائق الترجمة لعدم وجود مقابل لها في العربية فمثلاً في اللغة العربية لا يمكن أن نقول يا له من ولد فقير بل نقول يا له من ولد مسكين"[1].

- **الاستخدامات المجازية:** لما كانت اللغات لا تتطابق في الاستخدام المجازي للألفاظ و التعبيرات فإن الترجمة لأي استخدام مجازي لا يصح أن تكون حرفية. مثلا:

"(evening of life) بالانجليزية لا يصح أن تقابله (مساء العمر) لأن العرب يستعملون مقابلاً مجازياً و هو (خريف العمر)"[2].

4- اختلاف التصنيفات الجزئية:

إن اختلاف التصنيفات الجزئية في كل اللغات أمر طبيعي، فكل اللغات تستخدم الجهاز النطقي بصورة مشابهة و لكنها تختلف في عملية انتقاء الأصوات التي توظفها نتيجة لاختلافها في تحديد أماكن إنتاجها و كل اللغات تركب كلمات و مقاطع من الأصوات لكنها تختلف في اختياراتها و في طرق تركيبها تبعا لانتقاءاتها مثال ذلك "حقل الحرارة والبرودة و حقل الألوان فالحرارة مثلا : Hot, brisk, warm

أما الألوان فتختلف بحسب التدرج اللوني منها ما فيها درجات عالية مثل الأحمر وينتهي بالألوان ذات الموجات المنخفضة مثل البنفسجي"[3].

5- التلطف في التعبير و اللا مساس

هناك ألفاظ لا يمكن استعمالها، فالتعبير الدلالي لها قد يعني المساس أو الحساسية "ففي اللغة المؤدبة لا تكاد تسمع كلمة (pregnant) باللغة الانجليزية. و نظيره في العربية (كلمة حبلى) التي لا نسمعها في الكلمة المؤدبة و استعيض عنها بكلمة حامل"[4].

1 - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 254.

2 - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 254.

3 - المرجع نفسه، ص: 260.

4 - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 266.

5- الإيحاء و الجرس الصوتي:

اللغة العربية من اللغات التي عنيت بموسيقى ألفاظها و عباراتها في كل العصور،"فلها ما يسمى بالمحسنات اللفظية و هناك شواهد كثيرة في اللغة العربية تعتمد الجرس و العروض فضلاً عن البلاغة و البيان و البديع و من أشهر ما يواكب اللفظ و الجرس الموسيقي الجناس"[1] منه قول: رجل يتظلم عند المأمون العباسي "(يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ مَا تَرَكَ لِي فِضَةً إِلاَ فَضَهَا، وَ لاَ ذَهَباً إِلاَ ذَهَبَ بِهِ، وَلاَ غَلَّةً إِلاَ غَلَّهَا وَ لاَ ضَيعَةً إِلاَ أَضَاعَهَا وَ لاَ عَرْضاً إِلاَ عَرَضَ لَهُ، وَ لاَ مَاشِيَةً إِلاَ أَمْتَشَهَا وَ لاَ جَلِيلاً إِلاَ أَجْلاَه)"[2]، فمثل هذا القول يصعب ترجمته لكثرة المعاني المختلفة الإيحاء "يقول إبراهيم أنيس"،"فكيف السبيل إلى ترجمة هذا الكلام و هو كثير في اللغة العربية وإلى غير هذا"[3]، ومنه يتضح أن أمر الترجمة في النصوص الأدبية أم عسير، لما تحمله من معان وأفكار كالإيحائي و الأسلوبي و النفسي وغيرها.

ويجب على مترجم ما يتعلق بالعلوم، أن يكون ملماً بجوانب لغته، و كذلك اللغة الأخرى. فالترجمة من الكتب المقدسة على سبيل المثال يتحرج منها المترجمون لأنها ليست سهلة وقد لا يصل المترجم فيها إلى المقصود، فترجمة القرآن الكريم يكثر فيها التعقيد، بل تترك بعض المعاني و هي ذات أهمية، ويبتعد المترجمون عن ترجمة القرآن لوجود نصوص إعجازية، لا يمكن ضبط مقصودها. ولذلك اعتمد أكثر المترجمين سواء كانوا عربا أو مستشرقين ترجمة تفسير القرآن وليس النص القرآني، وفي مثل هذه الحال قد تضيع الدلالة، والمعنى يفقد المراد.

فالترجمة فن لا بد أن يراعى فيه دلالة الألفاظ و دقة فهم المعاني فضلاً عن فهم دلالة النصوص بكاملها.

1 - ينظر دلالة الألفاظ، ص: 172.

2 - أبو إسحاق الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ج 2، المطبعة الرحمانية بمصر، سنة 1931، ص: 208.

3 - دلالة الألفاظ، ص: 172.

أما ترجمة العلوم أيسر وأسهل، لأن دلالة ألفاظها محدودة ومضبوطة،في حين أن النصوص الأدبية ترجمتها أشدّ عسرا، وأصعب منالا لأنها تعتمد على التصوير والعاطفة والانفعال، حيث يقال: "أن الأدب لا يكون أدبا إلا بخروج الكلمات عن دلالتها اللغوية، وشحنها بفيض من الصور والأخيلة"[1].

أما بالنسبة للنصوص الدينية، يقول إبراهيم أنيس: "أن أمهر المترجمين لها يتحرّجون من نقلها إلى لغة أخرى لأنها تتّسم بالقداسة، فخشوا أن يزيّفوها، أو يخلطوا في تراكيبها ووصلات أجزائها، حيث يرى جمهور المفكرين، أن نقل النصوص الدينية أشبه بنقل الزهرة من منبتها الذي قد يعرّضها للجفاف، لذلك وجب على القارئ أن يتعرف على النّص الديني في بيئته"[2].

وقد تحدث عن الترجمة السبعينية للعهد القديم، قال: "أول ما ذكرت هذه الترجمة في كتابات أحد أحبار اليهود في القرن الثاني قبل الميلاد، ثم شاعت بين اليهود، وبعدها بين المسيحيين، وقد اضطربت الروايات التاريخية في هذا الشأن، وكانت أشهرها وأكثرها ذيوعا تلك التي تحدّثنا عن أحد البطالة حكام مصر في القرن الثالث ق م، أراد تأسيس مكتبة الإسكندرية ومدّها بنفائس الكتب في العالم، وكان قد نصحه خلصائه باستدعاء نفر من أحبار اليهود في فلسطين للقيام بترجمة العهد القديم من العبرانية إلى اليونانية، وكانت اليونانية لغة الكتابة والعلم وكان عدد هؤلاء الأحبار اثنان وسبعون يهوديا من اثني عشر قبيلة من كل قبيلة ستة يهود"[3]

ترجمت العالم اليهودي "أقويلا" في سنة 126 م. وهي ترجمة حرفية, التزم فيها صاحبها التمسك بظاهرة النصوص العبرية و صيغها, وكان يهدف من ترجمته ألا يترك حجة للمسيحيين يعتمدون عليها في فكرة الإرهاص بمولد المسيح في نصوص العهد القديم"[4] .

1 - دلالة اللفاظ، ص: 174.

2 - المصدر نفسه، ص: 175.

3 - ينظر المصدر نفسه، ص: 176.

4- دلالة الألفاظ، ص: 178.

"**سيماذوس**: Symmacbus هو نصف مسيحي كان من المسيطرين على زمام اللغة اليونانية فجاءت ترجمته أدبية سامية في أسلوبها .

ثيودوشن Theodotion: هو أيضا نصف مسيحي اتخذ لنفسه مسلكا وسطا بين الترجمتين السابقتين, فكانت ترجمته مما لا يوصف بالحرفية الخالصة, أو بعض الترجمات الأدبية التي يطغى فيها الذوق الشخصي للمترجم على النصوص المترجمة"[1].

المبحث الخامس: نصيب الألفاظ العربية من الدلالة

1- أمية العرب:

مفهوم الأمية يحمل معنيين أحدهما شائع بيننا الآن والآخر غريب غير مستساغ، بيّنه "إبراهيم أنيس"بقوله: [العيي الجافي الجلف القليل الكلام]، وقد عاب إبراهيم أنيس على أصحاب المعاجم نسبة هذا المعنى إلى الأمي بعد أن كان قد وصف بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: "الذين يتبعون الرسول النبي الأمي" [سورة الأعراف، 157]، ويضيف قائلا أننا لا نلمس لها أثر في "جمهرة ابن دريد"، ولا في " صحاح الجوهري" ولا في " تذييل الصاغاني"[2].

"والذي يبدو من استعمالها القرآني أنها وصف لا يراد به الحط من شأن الموصوف ولا الانتقاص من قدره بل يوصف به من ليس من أهل الكتاب، سواء كان يقرأ ويكتب، أو ممن لا يقرأ ويكتب"[3] ففي قوله تعالى: "الذين يتبعون الرسول النبي الأمي"[سورة الأعراف 157]، وقوله: "فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي"[سورة الأعراف 158]، وهنا تظهر دعوته سبحانه لأهل الكتاب من بني إسرائيل أن يؤمنوا بذلك الرسول الذي ليس منهم والمذكور في كتبهم.

1 - المصدر نفسه، ص: 178.
2 - دلالة الألفاظ، ص: 187.
3 - ينظر دلالة الألفاظ، ص: 187.

الأمية و الثقافة اللغوية:

الأمية بمعناها الراقي صفة متجدرة في العرب، خاصة الجاهليين منهم، لأنهم كانوا أهل مشافهة وسليقة لا كتابة وتدوين، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على سعة تضلّعهم في لغتهم ومدلولات معانيها، وهذا دليل على أنهم أصحاب ثقافة، وليس جهلهم انتقاصا من حقهم أو شخصياتهم، فالعربية ازدهرت فيها الآثار الأدبية في ظل الأمية، و هي اللغة التي حاول القدماء من العلماء الاحتفاظ لها بكل خصائصها القديمة، التي منها ما يمكن أن يعزى إلى شيوع الأمية كالموسيقية في الكلام.

موسيقية الأدب العربي

لا يخفى على المتتبع أن اللغة العربية تحضى بموسيقية و تناغم، و هذا ما يمكن ملاحظته، أن الشعر عند العرب هو الأسمى والأكثر من بين فنون الآداب يقول" إبراهيم أنيس" " أن ظاهرة الموسيقية في اللغة العربية تعزى في أغلب عناصرها إلى تلك الأمية حين كان الأدب أدب الأذن لا أدب العين و حين اعتمد القوم مسامعهم في الحكم على النص اللغوي فاكتسبت تلك الآذان بالمران التمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة و كما تمرن الآذان في بيئة الأمية تمرن الألسن أيضاً فتنطلق من عقالها و قد اكتسبت صفة الذلاقة"[1].

من خلال هذا وبما أن الشعر ديدان العرب، فهم أهل نغمة لغوية تأتت مع التجربة وحسن الإصغاء، فألفت آذانهم بالمان جيّد النغمات من ناشرها، وأصبح تمييوها بديهيا، فإن قلت أمامهم وأجدت استمات سمعهم، وإن أخفقت نفّرتهم ولحنت، هذا مع تبلور الأفكار وتطور العلم، أصبح معروف بعلم القوافي والأوزان، ضُبِط مع الخليل والأخفش ولو لم تكن هذه (أمة)- من أمية- لاستجدّ العلم في العصر الحديث، فالدلالة إذن لا يمكن حصرها في الأمي و غير الأمي.

1 - دلالة اللفاظ، ص: 195.

المبحث السادس: كنوز الألفاظ العربية

لقد كان للمعاجم العربية أثر واضح في تطور اللفظ ودراسة دلالته، فقد اتجه علماء العربية لجمع الألفاظ العربية وفهم دلالات هذه الألفاظ، وقد استغرقت هذه الحركة وقتا طويلا استقراءا وتمحيصا وجمعا من أفواه أقحاح العرب، فتوصلوا بهذا إلى كم هائل من الألفاظ العربية، ثم جاء بعد زمن ليس بالطويل من وضع هذه الألفاظ في بطون كتب صغيرة تسمى الرسائل، ويسير بها الزمن فتتطور أكثر هذه الرسائل وتضم في ما بينها لتعطينا أشبه بما يسمى بالمعجم، إلى أن يأتي عصر "الخليل" الذي يعدّ معه الانطلاق الحقيقي للمعاجم مصدرا معجمه "العين"، ثم توالت الإصدارات في هذا المنوال مع ثلة من اللغويين أمثال "الجوهري"، و"الزبيدي"، وغيرهم مع ما أتو به من تبويب جديد.

معجم العين

يعدُّ معجم العين أول معجم عربي رتب ترتيبا دقيقا اعتمد الترتيب الصوتي للحرف العربي ومؤلفه الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة 175هـ.

وقد بدأ ترتيب الحروف من أقصاها مخرجا، وهو حرف العين، ولذلك سمي بكتاب العين وهو حرف حلقي، مخرجه وسط الحلق ثم رتّب الحروف الأخرى منتهيا بحرف الميم، فلم يبدأ بالهمزة، لأنه يرى عدم ثباتها على صورة واحدة، فكثيرا ما تقلب إلى حروف العلة، ولم يبدأ بالهاء لضعفها فجعلها ثالث حرف ثم رتب الحروف على الترتيب الآتي:[1].

ع ، ح ، هـ ، خ ، غ ، ق ، ك ، ج ، ش ، ص ، ض ، س ، ز ، ط ، د ، ت ، ط ، ذ ، ث ، ر ، ل ، ن ، ف ، ب ، م ، و ، ا ، ي ، أ.

كيف قسمت الأبنية في المعجم ؟

1 – ينظر: محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة، ص 320–322.

إن ألفاظ المعجم وضعت تحت الحرف لكونه من حروفها الأصول، ووضعت تحت أبنيتها فوضعت الأبنية في أبواب تحت كل حرف ، ولذا قسم الحرف الواحد إلى أبواب تشمل الكلمات مصنفة بالنظر إلى حروفها الأصلية دون الزائدة وصنفت الأبواب إلى ما يأتي :

1-باب الثنائي الصحيح وهنا يعني به الثنائي المضعف مثل خقَّ خقخقة

2- باب الثلاثي الصحيح وهي الكلمات المجردة من الزيادة

3- باب الثلاثي المعتل : ما كان فيه حرف علة .

4- باب اللفيف ما فيه حرف علة أو وسطه أو آخره .

5- باب الرباعي

6- باب الخماسي

ومن إبداع ما استعمل الخليل في أبنية ألفاظه نظام تقليب الكلمة، وهذا ما لم يسبقه إليه أحد فقد فسم الكلمة إلى مستعمل ومهمل من خلال تقليب الكلمة مثل :

رجع – جرع – عرج فهذا من المستعمل ، أما المهمل رعج على سبيل المثال[1].

لقد كان لمعجم العين أهمية كبرى في الدراسات اللغوية المعجمية فضلا عن دلالات الألفاظ ثمّ تبعت معجم العين معاجم كثيرة، منها تهذيب اللغة "لأبي منصور الأزهري" المتوفى في سنة 370 هـ، وقد تأثر بمنهج الخليل، بالأبنية وزاد عليه وقد أنكر أن يكون قد تأثر بالخليل.

وتبعت ذلك معاجم كثيرة في القرنين الثالث والرابع الهجري من هذه المعاجم (المحيط) للصاحب بن عباد المتوفى سنة 385 هـ . والمحكم لابن سيدة المتوفى في سنة 458 وهذه المناهج بعضها قلّد والآخر طور، وكان لها الأثر البالغ في تنمية اللفظ العربي وحفظ دلالته.

1 – ينظر: محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة، ص 322-325.

الجمهرة:

بدأت المعاجم تنحو منحى آخر في التأليف منها كتاب الجمهرة لمؤلفه ابن دريد المتوفى في سنة 321 هـ، فقد قسم معجمه على الترتيب الألف بائي للحروف العربية و كان الترتيب كالاتي: أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و ، ي.

و قسم الأبنية إلى ما يأتي:

1- الثنائي المضاعف، والثلاثي، والرباعي، و الخماسي.

والبحث فيه يكون بـ:

1- تجريد الكلمة من كل زيادة

2- البحث عن أول حرف من حروف الكلمة بالترتيب الألف بائي[1].

و تبع الجمهرة معجم مقاييس اللغة لمؤلفِه "ا بن فارس" المتوفى في سنة 395 هـ، بمنهج جديد.

و قد استمر تأليف المعاجم معتمدا طرائق مختلفة، في الأبنية و الترتيب المعجمي للحروف و هنالك أمثلة كثيرة ساهمت في بناء اللفظ العربي و الحفاظ عليه، كما ساعدت في الدراسات الدلالية للفظ.

وأن المعاجم قديمة كانت أو حديثة لها مساهمات كثيرة في إيضاح اللفظ و الوقوف عند دلالة بعضه، ونحن فيحاجة إلى دراسة تستنطق الذخيرة الموجودة في التراث، ولا يخفى عن من يفتح أبواب الكنوز يجد ما يريد ، إلا أن الكثير يترك ما في كنوزه معتمداً دراسات حديثة، فالدلالة على ما ورد في دراسات الأصوليين ليس علماً جديداً، وإن أخذ منحا حداثيا، وهذا لا يعني انه غير موجود عند قدماء الباحثين، فمن الدلالات ما تجدها في الكتب الأدبية التي فيها من الاستطراد ما يستحق دراسته فتجد اللفظ الذي يدل القضاة حين يستنطقونه قد أخذ مأخذاً كبيراً عندهم، كما يمكنك الرجوع إلى اللفظ و دلالته عند الأدباء و من ذلك ترى أول محكمة في تاريخ الأدب العربي في زمن

1 - ينظر: محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة، ص: 337-342.

عمر بن الخطاب عندما شكا إليه الزبرقان بن بدر ما قاله الشاعر المخضرم الحطيئة الذي قال:

دَعِ المكَارِمَ لاَ تَرْحَل لِبُغْيَتِهَا و اقْعُد فَإِنَّكَ أَنتَ الطَاعِمُ الكَاسِي

و قد خفيت دلالة لفظ اقعد على الخليفة عمر و عندما احضر الحكم و كان حسان بن ثابت تبين إن دلالة اللفظ غير ما كان يتصور و هكذا تجد الدلالة أخذت أهمية كبرى و لكن تحتاج إلى الاستنطاق و الدرس.

دراسة وتقييم:

من خلال دراستنا لكتاب " دلالة الألفاظ"، ومعاينة المادّة المعرفية، في مختلف المصادر والمراجع الّتي تمّ الأخذ منها، ترسّبت لدينا مجموعة من المعطيات، تدلّ دلالة كاملة على أنّ هذا المصنف يعدّ القفزة النوعية للعرب قاطبة، وللمحدثين خاصة، من بابين، أولهما كونه محاولة جادة للنّهوض بالتراث وبعثه من جديد، والثّاني كونه دراسة علمية حدثية وفق النظريات التي يزعم الغرب أنها حكر على لغاتهم، دون غيرها مثل العربية، فبالرّغم من هذا نجد "إبراهيم أنيس" يأتي بالجديد في اللّغة العربية وفق حقل معرفي غربي "سيمونتيك"، حيث امتاز الدّرس اللّغوي الحديث بالابتعاد عن الحدس والتخمين، والتوجه نحو الموضوعية العلمية البحتة، التي لا تتأثر بالآراء الفردية، ولا التصورات الجاهزة، وقد اتّخذ من الملاحظة والاستقراء والاستنباط، قاعدة يسير عليها، وهذا ما أكسبه الاحترام من قبل الدارسين

ولقد كان عبد السلام المسدي محقاً حين قرّر أن للعرب نظرية لغوية إذ يقول: << إنّ التّفكير العربي، قد أفرز نظرية شمولية في الظّاهرة اللّغوية، على الرغم من إنكار بعض الدّارسين لذلك، عندما نعتوا الحضارة العربية بقولهم، لم تفرز في مجال اللّغويات سوى علم تقني منطلقه وغايته نظام اللّغة العربية في حد ذاته لا غير>>[1]، وهذا مخالف لما نجده من أصول وغايات تشبه ما يبحث عنه المحدثون .

لعلّ أكثر الانتقادات الّتي وجهت لكتاب " دلالة الألفاظ" وكما سبق ذكره أنّ المنهج الذي انتهجه "إبراهيم أنيس" لم يكن واضحا.

1 - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب، ط1، سنة 1981، ص: 24.

خاتمـة:

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وصلي اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، فما جهد الباحث إلا في باب الصواب أو الخطأ، فإن أصبنا فمن الله وحده، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه

من جملة التفاصيل التي مررنا بها من خلال محطات الكتاب – دلالة الألفاظ – الدور البارز الذي قام به إبراهيم أنيس، في التنظير للدلالة ومن خلاله كان له قصب السبق في هذا المجال، وإن كان محاكيا للمناهج الغربية وأساليبهم في الدراسة.

تشعب الدراسة في كتابه مرده إلى موسوعية الموضوع وكونه يلامس حدود مجموعة من العلوم منها علم النفس وعلم الاجتماع.

المنهج المتبع في تأليف متن الكتاب لا يطّرد وطبيعة المادة العلمية مما أطفى عليه عدم التنسيق بين فصوله، فهو يذكر موضوع في بداية الكتاب ويأتي على ذكره في أكثر من موضع.

حداثة الموضوع شفعت للنقد الذي وجه إلى الدكتور "إبراهيم أنيس" وخاصة منهجه.

الجديد الذي أتى به إبراهيم أنيس في دراسته هو الفكر اللساني الذي تشبع به من خلال دراسته في الغرب.

وبهذا يكون الكتاب –دلالة الألفاظ– شمعة تنير درب البحث في المجال اللغوي لكونه حاز الريادة ولم نأثر على مؤلف يجاريه إلى يومنا هذا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

صحيح مسلم، دار طيبة الرياض، ط1، سنة 2006، ج1147/2، رقم الحديث 2452.

إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، سنة 1985م.

إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2،سنة 1952.

ابن معصوم الحسني، أنوار الربيع في أنواع البديع، ج1.

أبو إسحاق الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ج 2، المطبعة الرحمانية بمصر، سنة 1931.

أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار ، الجزء الأول، الناشر المكتبة العلمية دط .

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق محمود محمد شاكر الناشر دار المدني بجدة، مكتبة الخانجي، ط1 سنة 1991.

أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تح حسين بن فيض الله الهمداني، مركز البحوث والدراسات اليمني، صنعاء، ط 1، سنة 1984.

أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، سنة 1985.

أحمد مختار عمر، علم الدلالة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط5، سنة 1998.

حاكم مالك لعيبي، الترادف في اللغة، بغداد، سنة 1980م.

حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، ط2، سنة 1998.

د. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ـ القاهرة، 1983م.

ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة: ترجمة كمال محمد بشر،الناشر مكتبة الشباب، دط، دت.

شرح الرضي على الكافية للإستراباذي، منشورات جامعة قابوس، بنغازي، ج1، ط 2، سنة 1996.

عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر (1932-1985)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2013.

عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب، ط1، سنة 1981.

عبد الكريم محمد حسن حبل، في علم الدلالة، دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، سنة 1997.

عبد الله بن عقيل العقيلي بهاء الدين، شرح ابن عقيل ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر دار التراث، دار مصر للطباعة، ج1، ط 20، سنة 1980.

عبد الله وافي، علم اللغة، نهضة مصر، ط 9، سنة 2004 .

علي النجدي ناصف: الدكتور إبراهيم أنيس- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة- الجزء (40) سنة 1977م.

غازي مختار طليمات، نظرات في علم الدلالة عند أحمد بن فارس اللغوي، حوليات كليو الأدب- الكوين-، الحولية 11، الرسلة 68، سنة 1990.

فايز الداية، علم الدلالة العربي- النظرية والتطبيق- دراسة تأصيلية_ تاريخية_ نقدية ، دار الفكر، دمشق، ط 2، سنة 1996.

فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق :دراسة تأريخية تأصيلية نقدية، ، دار الفكر، دمشق، سنة 1985 م.

فندريس جوزيف، اللغة، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1952م

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي،القاموس المحيط، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت، لبنان ط8، سنة 2005، ج1و2.

محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، دار الشرق العربي، بيروت، ط 4، د ت.

محمد خير رمضان: تتمة الأعلام للزركلي- دار ابن حزم- بيروت، ط2، سنة 2002.

محمد غاليم، عن البحث الدلالي العربي، ضمن ندوة أعمال : تقدم اللسانيات في الأقطار العربية دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1991.

محمد مهدي علام: المجمعيون في خمسين عامًا- الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- القاهرة 1986م.

المعنى وشكله، أعمال الندوة الملتمة، كلية الأداب منوبة، تونس، ج2، سنة 1999.

موفق الدين أبو البقاء ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان تح: إميل بديع يعقوب، ط1، ج1، 2001م.

فـهـرس الموضوعات

- بطاقة فنية للكتاب
- الإهـداء
- مقدمــة
- مـدخـل 1-6
- الفصل الأول: نشأة اللغة ومكوناتها 8- 36
- دراسة مقدمة الكتاب 8-11
- نشـأة اللغـة 12 -21
- الدلالة: أداتها، أنواعها، وفهمها 22-27
- الصلة بين اللفظ والدلالة 28-30
- استحاء الدلالة 31
- اكتساب الدلالة ونموها 32، 33
- المركز والهامش في الدلالة 43، 35
- الفصل الثاني: تطور الدلالة ودورها في الترجمة ودلالتها في المعاجم 36-64
- تطور الدلالة 37-40
- عوامل التطور الدلالي 41-46
- أعراض التطور الدلالي 47-51
- دور الدلالة في الترجمة 52-57
- نصيب الألفاظ العربية من الدلالة 58، 59
- كنوز الألفاظ العربية 60-63
- دراسة وتقييم 64
- الخاتمة 65

- قائمة المصادر والمراجع 66-68